الأب إيلي قزّي

مـذكـّرات

الأب الياس الخوري

فرنسيس لحّود السخن القرطباوي

(١٨٧٠ – ١٩٤٤)

٢٠٠٣

توطئة

في ختام سنة ١٩٨٦، أطلق الأب لويس الحاج، إذ كان رئيسًا على جامعة الروح القدس–الكسليك، مبادرات عدّة للاحتفال بيوبيل الجامعة الفضّي [خمسة وعشرون سنة]، كانت إنطلاقة الموسوعة المارونيّة إحدى هذه المبادرات. وكان ضمن الاحتفالات اليوبيل معرضًا للمخطوطات القديمة. في هذا الوقت كنت أنا، إيلي قزّي، أحد الرهبان الدارسين في الجامعة، فطُلب إليّ أن أُعدّ دراسة تاريخيّة حول المدارس الإكليريكيّة التي سبقت تأسيس معهد الروح القدس، الذي أصبح فيما بعد جامعة الروح القدس. إنكببت، بصحبة بعض الرهبان الدارسين، إلى مطالعة مقالات نشرها كل من الأبوين بطرس سارة وأنطونيوس شبلي في مجلّة المشرق، وغيرها من المقالات.

قصدنا يومًا دير مار سركيس وباخوس في قرطبا، حيث كان يقيم قدس الأب شربل القسّيس، الرئيس العامّ الأسبق للرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة، وتحدّثنا طويلًا عن الدروس التي كان يُحصّلها الرهبان قبل تأسيس الكسليك. فقال القسّيس إن دير مار موسى الحبشيّ كان مدرسة إكليريكيّة في أواخر القرن التاسع عشر. وأضاف أنّه طالع ذلك في مذكّرات الاب الياس لحّود السخن القرطباوي. وكان القسّيس قد حصل على هذه المذكّرات، بحسب قوله، من أنسباء الاب الياس في قرطبا.

كانت هذه المعلومة جديدة كليًّا بالنسبة إلينا، لأننا لم نصادف في أي من المقالات المطبوعة أيّ شيء يشير إلى هذا الأمر. فسألنا الأب شربل إذا كان يستطيع أن يتحفنا بنسخة من هذه المذكّرات. وبعد نيل رضى أصحاب المخطوطة، حفظنا نسخة في مكتبة جامعة الروح القدس. وقمت أنا بنقلها بهدف الإفادة منها ونشرها.

تتألّف مذكّرات الأب الياس لحّود السخن من دفترين، مكتوبة بقلم رصاص. فالدفتر الأوّل ينتهي عند سفر الأب الياس إلى قبرص، ويبدأ الدفتر الثاني في تدوين بعض أحداث جرت معه خلال الحرب العالميّة الأولى. الدفتر الأوّل لا يحوي أيّة

عناوين، لذلك قمنا بوضع عناوين له لتسهيل القراءة. أما الدفتر الثاني فهو يتضمّن عناوين وضعها الأب الياس بنفسه.

أما الخط فكان أحيانًا سهل القراءة وصعبًا في أحيان أخرى. كما أن الكتابة ليست مرتّبة دائمًا ترتيبًا صحيحًا.

أما مناسبة كتابة هذه المذكّرات، فنعتقد أنها تعود تلبية لسؤل الأب العامّ، اغناطيوس داغر التنّوري [رئيس عام الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة بين سنتي ١٩١٣ و ١٩٢٩]، وذلك تخليدً للعمل الخيري والفريد من نوعه الذي قام به الأب الياس في جزيرة قبرص خلال الحرب العالميّة الأولى. وهذا ما يؤكّده الأب الياس في مطلع الدفتر الثاني[١]

ونعتقد أن كتابة هذه المذكّرات جاءت على مرحلتين: الأولى وهي تتضمّن مذكّرات خاصة بحياة الأب الياس منذ دخوله الرهبانيّة إلى حين ذهابه إلى قبرص. والدفتر الثاني يخبر فيه الأب الياس مآثره في الجزيرة خلال فترة الحرب العالميّة الأولى.

تحوي هذه المذكّرات معلومات طريفة، تعبّر عن ثقافة اجتماعيّة ورهبانيّة تعود إلى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. نجد في قراءتها إفادة لذاكرتنا التاريخيّة. لا تذكر تواريخ الرهبانيّة الأب الياس لحّود السخن، ولولا مذكّراته التي ننشرها هنا، لكان عامل النسيان طواه كما طوى مآثر العديد من الرهبان اللبنانيّين.

لقد نشرنا مضمون المذكّرات كما وردت في الأصل، دون تصحيح اللغة أو تهذيبها. فتأرجحت لغة الأب الياس بين العامّيّة والفُصحى، وهذا بيّن في سياق المذكّرات.

أضفنا إلى مضمون المذكّرات ملحقًا يحوي نصوصًا تشهد على صحّة ما رواه الأب الياس في مذكّراته.

---

[١] راجع صفحة ٣٢.

١- طفولة الأب الياس

فلان هو يوسف ابن الخوري عمانويل الخوري فرنسيس لحّود السخن. أبصر النور في قريته في ٢٧ كانون الثاني سنة ١٨٧٠. وما كاد يبلغ الرابعة من عمره حتى فقد والده، الذي كان وبعد وفاة والده تغيّرت أخلاقه بالكليّة. فبعد أن كان زايغًا زاهيًا أمسى هاديًا خجولًا، لا يكاد يقرب مجالس الناس حتى من ذويه إلاّ نادرًا. وعبثًا كان جدّه وإخوته خصوصًا والدته يسعوا حتى يردّوه إلى أخلاقه الأولى، حيث كان يعيد عليهم كلّما كان يسمعه ويقراه في المدرسة. وبسبب كثرة هدوه [هدوئه] خلافًا للطاعة مرض مرضًا عضالًا جدًّا حتى آسى [يئس] الجميع من شفائه. وقد أغمي عليه طويلًا حتى شاع خبر وفاته، ولكن الله أعاد إليه روحه. وبعد أشهر كثيرة عادت إليه قواه وخرج كعادته إلى المدرسة التي قلّما كان يتركها.

وبعد [أن] أكمل قراية [قراءة] السرياني والعربي وتمرّن قليلًا على الخطّ والحساب، ترك المدرسة وانحاز إلى أحد زويه [ذويه] يتعلّم صنعته، السكافة. وحدث يومًا أن رآه أحد زويه [ذويه] يغسل الأحذية العتيقة فغمّه ذلك وتقدم إلى رئيس الدير[٢] في ذلك الزمان طالبًا له يقبل هذا النفر عنده بصفة خادم إنما يعلّمه قليلًا مبادئ العربيّة والسريانيّة؛ فقبله الريّس المذكور وكان يعيش مع الرهبان ويشاركهم صلاة الخورس وبعض أشغال الدير. وكان عم والده الأخ الياس وابن عم والده الأب يوسف من جملة رهبان الدير، إلاّ أن معاطته معهم كانت كباقي معاطته مع الرهبان الأجانب.

---

[٢] أي رئيس دير مار سركيس وباخوس التابع للرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة. وكان رئيس الدير آنذاك [١٨٧٧-١٨٩٠]، الأب مرتينوس الشمالي الدرعوني

٢– عزمه على الترهّب في الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة

وفي غضون ذلك صدرت أوامر المجمع المقدّس في رومية بافتتاح الابتداء في الرهبنة لكن تحت شروط معلونة[٣]، وسلّم أمر المبتدئين إلى معلّمهم رأسًا، يقبل من يشاء ويرفض من يشاء. ولما شاع خبر الابتداء أخذ الشبّان يقصدون دير طاميش طالبين الابتداء وكان من جملتهم أخوه الأكبر منه، ولما عرف ذلك حزن جدًّا لعلمه أنّه إن ثبت أخوه في الرهبنة يصير يصعب عليه جدًّا أن يترّهب هو أيضًا. ولكن بما أن أشغال البيت كانت معلّقة على أخيه المذكور، فوالدته وأخوه الأكبر كتبوا إلى الرئيس العامّ وأرجعوا أخوه إلى البيت.

وقد كان يوجد عادة في دير قرطبا وهي أن الرئيس كان يهدي بعض الزوات [الذوات] وكهنة القرية في جمعة المرفع قليلًا من الخمر وذلك تعويضًا عما كان هؤلاء يقدّموه للرئيس في فرصة عيد الميلاد. وكان خدم الدير هم الذين يقبلون هدية الخمر ومن جملة فلان من جملة الخدم يستقبل الخمر، وكان يظنّ أولًا انه سيحصل على كميّة كبيرة من البخشيش تمكّنه أن يتعاطى شيئًا من التجارة. [٢] ولما رأى أن ما حصل من البخشيش دون أن يدرك وزّع منه قسمًا حسنة قداسات عن أنفس والده وجده وعزم على الدخول في الرهبنة.

[٣] افتتح الابتداء في الرهبانيّة سنة ١٨٨٤، بعد أن أغلق أبوابه بأمر من الكرسي الرسولي لمدة تقارب التسع سنوات. وتقرّر في مجمع المدبّرين المنعقد في دير سيدة طاميش سنة ١٨٨٤، أن يكون الابتداء موحّدًا في دير مار جرجس الناعمة. وبما أن تجهيزات الدير المذكور لم تكن قد اكتملت، فقد استقبل دير طاميش المبتدئين لمدة سنة وانتقل بعد ذلك المبتدئون إلى دير الناعمة. وقد تعّين معلمًا للمبتدئين الأب مبارك سلامة المتيني، الحائز على شهادة الملفنة في علم اللاهوت من جامعة القديس يوسف في بيروت.

٣- دخوله الابتداء في دير مار جرجس الناعمة

وفي ذات يوم عرف أن الأب يوسف ابن عمه مزمع أن ينزل إلى بيروت، طلب منه أن يأخذه معه إلى دير الابتداء. وقام باكرًا جدًّا خلافًا لعادته وذهب على غير طريق لئلا يمرّ بقرب البيت أو يطلّ أحد من أهله فيمنعوه عن إتمام قصده. ولما صار في آخر القرية، نظر بعينه أخته عند أحد المكاريّه توصيه على بعض أشياء لازمة لشغلها فصاحت به: إلى أين هذه القدومية؟ فبُغِتَ بصوتها، ولكن الله ألهمه أن يجيبها ان الرئيس أرسله إلى عند رجل هناك له شغل معه. وهكذا بقي مُجدًّا في طريقه إلى أن وصلوا إلى طريق البحر. ولم يكن يوجد عربيات فبقي سائرًا حتى وصلوا إلى صربا[٤]، حيث كان موجود الرئيس العامّ فذهب لعنده ليأخذ الإجازة في قبوله في الرهبنة. ولأجل امتحانه أَمَرَه أن يذهب إلى طاميش لعند الكاتب حتى يكتب له الورقة ثم يرجع لعنده حتى يختمها. ولكن الله سهل له وجود من كتب الورقة وقدّمها لقدسه فختمها. وذهب إلى طاميش ليشاهد الأب غسطين الذي كان كاتمًا أسرار قدسه، وبات تلك الليلة هناك مع الأب يوسف.

عند الصباح أصحبه الأب غسطين برجل من ديك المحدي حتى يوصله إلى دير الناعمة. وهكذا وصل إلى دير الناعمة عند الغياب وقبل أن يدخل باب الدير طرح عصاه خارجًا وتذكّر قول الأنبا نستير (وأنا والحمار واحد) وهكذا دخل الدير فرحًا وسلّم على معلم المبتدئين الذي كان يعرفه قبلًا فقبله هذا بكل بشاشة. ولما لم يكن يوجد أوض في الدير ولا فرشات أعطوه لحافا وأرشدوه إلى محل في القبو، فبات ليلته هناك مع الرجل رفيقه. وعند الصباح ذهب مع المبتدئين إلى الكنيسة ثم إلى الشغل والمائدة والعلم .

---

[٤] في مكانة الكسليك، إذ كان للرهبانيّة في هذا المكان أنطوشًا تابعًا لدير سيدة النصر في غوسطا.

٤– لبس الشالة

بعد ثمانية أيّام عمل له الرياضة المعتادة ، وقبل أن يلبسوه ثوب الرهبنة سأله المدبّر اغناطيوس شكري: ما هو قصدك يا ولدي في الرهبنة؟ فأجابه بحسب العادة محبّة الله وخلاص نفسي، فأراد المدبّر أن يمازحه قليلًا وقال له: يا بني أنت سرقت بعض الصيغة للأقاريب وأنت تحتمي بالرهبنة، هوذا مدبرّكم[٥] كتب لي يطلب أن أسلمك إلى الحكومة لأنك سارق. فأجابه لو كنت سرقت صيغة كذا لما كنت أتيت الدير بل كنت بعتها وذهبت بثمنها إلى أمريكا، فضحك المدبّر وقال له لقد غلبتني والتفت إلى رئيس الدير وقال له لبّسوه ثوب الإبتداء.

وبعد صلاة الستار ألبسه الرئيس ثوب المبتدئين ودعاه مرتينوس ثم ذهب مع إخوته إلى عند المدبّر ليأخذ بركته، ولما تقدّم حتى يقبّل يده سأله شو سمّوك أجابه مرتينوس فزعل من ذلك جدًّا لأنه لم يكن ممنون [من] أصحاب هذا الاسم وخصوصًا من الرئيس العامّ مرتينوس الغسطاوي وأخذ الشالة عن رأسه وطرحها في الأرض وقال لا أسمح أن واحدًا يُدعى بهذا الاسم بل فليكن [٣] اسمه الياس نظير عم والده. وهكذا أطلقوا عليه إسم الياس رغم إرادته لأنه كان يفضّل أن يدعوه مرتينوس باسم معلمه الريّس مرتينوس الدرعوني. ولكنه خضع لأمر الطاعة تيمُّنًا للأب الذي عزمه عند باب الدير.

وهذا سار مع إخوته المبتدين [المبتدئين] إلى أسفل الحقل مدة من الزمان ثم استدعوه إلى الشغل داخل الدير في الخياطة والكنيسة وخدمة المدبّر الذي كان يحبّه جدًّا.

[٥] مدبركم أي مدبر معاملة جبيل، وهو الأب يواصاف العنيسي الجاجي

٥- خلاف حول طريقة تربية المبتدئين

وبعد مدّة حدس [حدث] في الدير بعض حوادث داخليّة ما بين المدبّر ومعلم المبتدين [المبتدئين] فان كان يريد أن يمشي المبتدين [المبتدئون] على نسق اليسوعيّة والمدبّر كان يريد أن يشتغلوا بحسب عوايد الرهبنة. وفي غضون ذلك انقسم الجمهور قسمين الواحد مع الرئيس الذي كان ابن أخ المدبّر، وكان اسمه القس ارسانيوس، والثاني مع المعلّم. وإن حزب الرئيس عملوا معروض إلى القاصد[٦] يشكون به من تصرفات الريّس وحزبه وأخذوا يحرّضون المبتدئين حتى يضعوا أساميهم في المعروض [...] ولما [...] أن يضع إسمه أجابهم أنا مبتدي لا يهمني هذا الأمر [...] عيّنت الرهبنة رئيسًا على هذا الدير فأنا خاضع له وهكذا لم يضع اسمه ولم يخالف قصده.

٦- الأخ الياس يلبس الإسكيم

وبغضون ذلك صدرت الأوامر بنقل الرئيس إلى دير مشموشة وبنقل رئيس مشموشة الأب بولس البكاسيني إلى دير الناعمة وكان بمعيّته الأب بطرس البكاسيني الشهير بفضيلته وعلومه، فسُرَّ الجميع بهذا التغيير وبقي الأخ الياس بشغله كما كان إلى أن أكمل سنة وسبعة أشهر من ابتداه وصدرت أوامر الرئيس العامّ بتلبيس المبتدين قبل انعقاد المجمع العامّ وهكذا كان فأخذ المرحوم الأخ مبارك البكاسيني الذي كان يستلم الخياطة أن يعدّ الثياب الجدد اللازمة لتلبيس المبتدين وكان الأخ الياس يعاونه قبل ذلك إلى اليوم السادس والعشرين من أيلول سنة ١٨٨٥[٧] حيث احتفل الريّس

---

[٦] وهو القاصد الرسولي، لودوفيكوس بيافي

[٧] يجب أن تكون السنة ١٨٨٦ وليس ١٨٨٥، لأن المجمع العامّ انعقد في دير سيدة طاميش في ١٠ تشرين الثاني ١٨٨٦. وقد يجوز أنه لم يتم نقل رئيس دير الناعمة إلى مشموشة، كما يذكر الأب الياس هنا في مذكراته، قبل انعقاد المجمع العامّ.

الأب نون[٨] بقداس إحتفالي وفي غضون لبسهم الإسكيم الملايكي وقبل نذورهم الاحتفاليّة وكان يومًا مشهورًا بالفرح والسرور وهكذا قضت تلك الأيام إلى أن عقد المجمع العامّ وتغيرت الروسا وأمروا بنقل الرهبان الجديد [الجدد] لغير أديرة. يتبع [؟] الدير على طالبين الابتدا، فأُرسِل الأخ الياس إلى دير قرطبا ليواصل دروسه الابتدائية استعدادًا لمدرسته.

٧– دير مار موسى الدوّار مدرسة

وفي السنة نفسها[٩] طلب الأب مبارك المتيني الذي كان معلّم المبتدئين من الرئيس العامّ الغسطاوي[١٠] أن يعطيه دير مار موسى الدوّار ليجعله مدرسة على شرط أن الرئيس العامّ يقدّم له معاش اثني عشر تلميذًا، عن كل تلميذ ثمنماية قرش لا غير وإنّ الأديرة تقدّم للتلاميذ فرشاتهم وكسوتهم، وإنّ هذه المدرسة تكون للاختبار، فإن نجح [٤] هؤلاء الاثني عشر ثبتت المدرسة وزاد عدد تلاميذها وإلاّ يرجعوا إلى العادة القديمة كل واحد يدرس في الدير الذي يكون فيه.

ثم إنّ الرئيس العامّ أمر الأب مبارك أن ينتخب التلاميذ الذين يعرفهم أهلًا للمدرسة. فانتخبهم، وكان من جملتهم الأخ الياس. ولما قدّم الأب مبارك لايحة بأسماء المنتخبين وأطلع عليها الرئيس العامّ والمدبّرين سرّ بذلك جدًّا. إلاّ أن المدبّر واصاف الجاجي اعترض علي تعيين الأخ الياس، وأراد حزفه واستبداله بغيره ممن يخصّوه، فأجابه الأب مبارك ان حضرتك تعرف بالبقر والفلاحة، وأنا أعرف بالمدارس والتلاميذ فلو أمرني أن أشتري راس بقر أو إزرع حقلة ما، لما عرفت ذلك. فاغتاظ الأب واصاف من هذا الجواب، ولكن الريّس العامّ أجابه أن الحق مع الأب مبارك

[٨] رئيس الدير الأب نون ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

[٩] يجب أن تكون سنة ١٨٨٧.

[١٠] هو الأب مرتينوس سابا من غوسطا، كان رئيسًا عامًّا على الرهبانيّة بين سنة ١٨٧٥ و ١٨٨٩.

فسكت. وهكذا دخل المدرسة في أول تشرين الأول سنة ١٨٨٦[11] وكانت المدرسة في دير مار موسى الدوّار لأن أرزاقه كانت مضمّنة بسبب تراكم الديون عليه ولم يكن فيه رهبان غير التلاميذ ومعلمهم وراعيهم الأب ابراهيم الخلّة.

٨- سَيْر الدروس في المدرسة

وفي تلك السنة أحرز التلاميذ نجاحًا غير اعتياديًّا في دروسهم حتى سرّ الريّس العامّ من ذلك غاية السرور وأمر أن يزاد عددهم حتى ٢٢ وعيّن لهم معلم ثاني مع الأب مبارك هو الأب جرمانوس نجم الديراني وفي تلك السنة التي هي سنة ١٨٨٨[12]، كان ميعاد التيام المجمع العامّ. وقد اجتمع التلاميذ حسب عاداتهم. وفي هذه السنة نجح التلاميذ أكثر من الأول وزارهم الريّس العامّ واطّلع بذاته على خطّة دروسهم وأمورهم الروحيّة والجسديّة فأبدا رضاه منهم ومن معلّمهم وزوّدهم نصايحه الأبويّة ووعد بزيادة الاهتمام بهم وبتكثير عددهم حتى بلغوا في ثاني سنة أي سنة ١٨٨٩، ٢٦ تلميذًا.

وشاع خبر نجاح هذه المدرسة مع فقرها في كل الجهات، خصوصًا الغربيّة من الدير. وطلب كثير من العلمانيّين أن يدخلوا أولادهم فيها، ولكن حالته لم تكن تمكّن المعلّمين من قبول الطالبين إلا بصفة خارجين فقط. وأقاموا في الحارة التي كانت بقرب الدير وفي الكنيسة القديمة. وكان أهلهم مسرورين جدًّا من نجاحهم.

[11] الأصح سنة ١٨٨٧.

[12] الأصحّ سنة ١٨٨٩.

٩- المجمع العامّ ١٨٨٩.

وفي تلك السنة كان ميعاد التيام المجمع العامّ وصدرت الأوامر بذلك حتى يعيّنوا وكلا عن الرهبان ليحضروا المجمع. وبما أن الأب مبارك انتخب وكيلًا عن دير مار مخايل بنابيل، فقد انتخب التلاميذ وكيلًا عنهم الأب بطرس تابت الديراني. وفي الوقت المعيّن اجتمع الرهبان للمجمع العامّ في دير سيدة نسبيه غوسطا، تحت مناظرة القاصد الرسولي لوديفيكوس بيافي الراهب الفرنسيسكاني. وكان ذاك المجمع منظّمًا بغاية ما يكون وكان الرهبان فرحين بذلك جدًّا وكانوا يؤملون خيرًا عظيمًا [٥] للرهبنة من وراء ذاك الاجتماع المقدّس. إلاّ ان عدوّ الخير وسوس في راس القاصد أن يقيم لهم رئيسًا عامًّا على فكره دون رضاهم. فلما عرفوا فكر القاصد اجتمعوا سرًّا وقرروا أن يخدعوا القاصد ويتظاهروا بالانقياد لفكره، وعندما يدخلوا إلى الاقتراع ينتخبوا الذي يرون فيه الكفاية ضد فكر القاصد ... ولكن البعض منهم خانوا وأطلعوا القاصد على ما تقرر في الاجتماع السرّي. ولما عرف بذلك القاصد كتب أمرًا بفضّ المجمع العامّ وأن [...] إلى بعد علم آخر من روميه مسلّم الأمر إلى كاتب أسراره الخوري بولس عوّاد ليتلوه على الرهبان عند اجتماعهم للاقتراع، وهكذا كان.

وأما القاصد فخرج من الدير باكرًا جدًّا ولم يدع أحد يعلم بذهابه لأنه خاف شرّ العاقبة. وسمع الرهبان ذاك الأمر المنبئ بتوقّف أعمال المجمع العامّ، تكدّروا جدًّا. فمنهم مَن أشار بمتابعة أعمال المجمع، ومنهم من عاكس قايلًا أن ذلك مخالف لإرادة رومية. وهكذا تفرّقوا كل واحد إلى ديره، وبقي كل واحد بوظيفته إلى أن صدرت أوامر رومية بتعيين الأب واصاف الحاجي، الذي كان مدبّر أول، نائبًا عامًّا، وباقي المدبّرين كل واحد بمركزه.

١٠- تدابير جديدة تخصّ الإخوة الدارسين

وبعد أن استلم الأب واصاف النيابة العامّة، عقد مجمعًا خصوصيًّا مع المدبّرين وغيّروا بعض الرؤساء، وقرّروا بعض أمور منها، أن ينتقل التلاميذ من دير مار موسى الدوّار إلى دير الناعمة وأن الأب مبارك لا يكون له أدنى معاطة مع التلاميذ أصلًا. وأنّ الأخ الياس لا يدخل المدرسة مع ارفاقه، بل فليقم في دير قرطبا بصفة أخ عامل. وقد طالما عمل الأخ المذكور وشابط ترجيّه لكي يسترضي النائب العامّ المذكور ولم ينجح في شيء، حتى ولا بالحصول على إجازة ليدرس اللاهوت الأدبي عند الأب أنطونيوس المشمشاني، الذي كان يقيم في دير مار مارون عنّايا.

وأخيرًا حضر الأب مبارك بذاته إلى عند النايب العامّ. وبعد أن وقف على خاطره وحاز رضاه، طلب منه أن يسمح له ليأخذ الأخ الياس لعنده في دير مار موسى، وهناك يدرّسه اللاهوت الأدبي. فأجابه [٦] الأب واصاف إلى طلبه، وسمح له بأخذ الأخ الياس معه إلى دير مار موسى، لكن على شرط أن يرضى الأب اجناديوس المتيني الذي كان تعيّن وقتئذ رئيسًا على مار موسى. وبعد محاورة طويلة مع الأب اجناديوس، قَبِلَ أن يقيم الأخ الياس في الدير بصفة تلميذ أجنبي، يدفع راتب مدرسيّ في السنة ٨٠٠ماية قرش بدل أكل وغسيل فقط. وبما أن الأخ المذكور لم يكن معه القيمة المطلوبة لجاء [لجأ] إلى الأب غسطين قرطبا الذي كان رئيسًا على دير قرطبا في ذاك الوقت، وأخذ منه نصف القيمة المطلوبة، ودفعها إلى الأب اجناديوس، رئيس دير مار موسى، على أنّها نصف الراتب، وانه يدفع له النصف الآخر عند منتصف السنة المدرسيّة، فقَبِلَ ذلك، وسكن الأخ الياس في دير مار موسى بصفته تلميذ خادم، لأنه كان ملتزم أن يقوم بكل خدم الدير من نظافة وغيرها. ومع ذلك فكان يشكر الله ويحتسب قبوله هناك نعمة مجّانيّة حيث كان يتاح له أن يواصل دروسه.

١١– مرض الأخ الياس

وكان يرافق معلّمه إلى القرى القريبة من الدير كل نهار أحد وعيد لأجل عمل الخير واستماع الاعترافات وتعليم الأولاد كيفيّة الاعتراف والصلاة. وبغضون ذلك مرض الأخ الياس مرضًا ثقيلًا جدًّا حتى أشرف على الموت. ولم يكن بوسع معلّمه أن يستدعي له طبيبًا وحضرة الرئيس يعتذر بانه غير ملتزم بمعالجته. لكن الراتب الذي يدفعه هو بدل القوت والغسيل لا غير. ومن ثمّ أخذ معلمه يكتب كل يوم حالة مرضه إلى الدكتور أمين الجميل الذي كان بالوقت مريضًا بمرض الزلال وغير قادر أن يحضر لعنده. ولكنه كان يرسل له العلاج بحسب تخبير معلمه. وأخيرًا مُنَّ عليه بالشفاء وعاد إلى دروسه وشغله.

١٢– أوامر للأب مبارك سلامة المتيني

وفي ذات يوم كان راجعًا مع معلّمه من قرية الغابة حيث ذهبوا إليها [٧] بحسب العادة لأجل استماع الاعترافات والتعليم المسيحي، التقى بأحد شركات الدير ومعه مكتوب إلى معلّمه، فأخذه له وذهب لقضاء بعض الأشغال في الدير. وبعد هنيهة رجع لعند معلّمه فوجده يبكي. فظنّ لأول وهلة أن ذلك المكتوب هو ورقة نعوة من أحد أقاربه. وبعد أن استفحصه عن سبب بكائه دفع له المكتوب المذكور ليقرأه. ولما فتحه وجده من النائب العامّ الأب واصاف وقد كتبه على تمن [؟] ورق وبه يأمره بأمر الطاعة المقدّسة أن لا يبارح دير سكناه أصلًا بحجة عمل الخير والوعظ والاعتراف لأن بذهابه إلى القرى يسبّب شكوكًا ومعثرة للقريب، وان رهبنتنا ليست للوعظ والتعليم بل هي للنسك والشغل في أرض الدير لا غير . الخلاصة أن ذاك المكتوب كان سببًا لبكانا كلانا ولكنّي تَقَوَّيتُ أخيرًا على البكاء وأخذت أنشّط معلّمي. وهكذا مضى ذاك النهار بالغمّ والتذكير.

١٣– القاصد الرسولي يستدعي مبارك سلامة المتيني

وعندما المساء بينما كنّا على سطح الدير نُرَوِّح النفس من شريعتنا، وإذا بالخواجا جرجس أبي كرم وصل إلينا على بغتة، وأخذ الأب مبارك على حدة وأفهمه أن القاصد الرسولي غودنسيو، يطلبه حتى يحضر لعنده إلى بيروت لكن بدون أن يدع أحدًا يعرف به أصلًا. فازدادت همومنا، وأخذنا نحسب للأمر ألف حساب، لأن القاصد المذكور كان من حزب لوديفيكوس، ولم يكن معه أدنى معاطات. ولكن ما الحيلة وقد طلب حضور الأب مبارك لديه. فبتنا تلك الليلة على أحرّ من جمر النار. وعند الصباح بكّرنا بالذهاب إلى برمّانا لعند الخوري نعمة الله أبي كرم [هو المطران نعمة الله أبي كرم اليوم] وأطلعه على الطلب الذي كان بواسطة أخيه جرجس. ففكّر في الأمر مثلنا وأشار علينا بالذهاب لدى القاصد المذكور لعل في الأمر خير أو شرّ لنا ...

[٨] ولما لم يكن مع الأب مبارك دراهم لمصروف الطريق أخذنا من الخوري نعمة الله أربع ريالات مجيدي [...]. وأخذنا طريقا خصوصيًّا، خوفًا من إنّنا إذا ذهبنا على الطريق العامّ ينظرنا أحد. وهكذا سرنا حتى وصلنا ساحل بيروت، حيث أخذنا عربيّة مقفلة إلى بيروت، وهناك افترقنا، هو ذهب إلى القصادة وأنا ذهبت إلى اليسوعيّة. وعملنا ميعاد اجتماعنا عند كنيسة مار جرجس. وهكذا كان وفي الوقت المذكور رجعت إلى هناك فلم أجد أحدًا. وقد طال انتظاري وقلقت أفكاري وذهبت أترقّب الأخبار من جهة دار القصادة فلم أجد شيئًا. ثم رجعت إلى مكان الانتظار، وإذا بعربة مقبلة وهو فيها، فصعدت إليه ولكني شعرت حالًا أن معه خبرًا مفرحًا. وطالما كرّرت عليه السؤال عن سبب الطلب وطولة المدّة التي قضاها في القصادة، فكان جوابه أن معه خبرًا يسرّني جدًّا إلاّ أنّه لا يقدر أن يخبرني عنه الآن. إلاّ انه مضطرّ أن يذهب حالًا إلى دير مار موسى ولو أدركنا المساء. فاستأجرت له بغلًا، بريال مجيدة، حتى يوصله إلى الدير. وأنّا بتّ تلك الليلة في بيروت، وعند الصباح ذهبت إلى الدير ماشي. ولما وصلت وجدت حركة غير اعتياديّة في الدير، وكلّهم

يشتغلون بتنظيف الدير. ولما سألت عن سبب ذلك، أجابني الأب ابراهيم الخلّة، أنت أخبث من معلّمك، لأنك تعرف السبب ولا تخبرنا، ومعلّمك يقول أن القاصد مزمع أن يزورنا ولا نعلم ما هو سبب هذه الزيارة.

وعندما دخلت على معلّمي وجدته يكتب مكاتيب عديدة. ولما سألته أن يخبرني عن سبب ذهابنا إلى بيروت فأجابني، كالعادة، لا أقدر أخبرك الآن غدًا تعرف كلّ شيء. حينئذ تكدّرت من مطالبته بالخبر وذهبت إلى أوضتي ونمت. ولكن بما إنّهم كانوا بحاجة إلى مساعدتي في ترتيب الكنيسة والدير لم يدعوني أنام. فرجعت إلى مساعدتهم، وهكذا قضينا الليلة بالكدر والانتظار.

١٤– الأب مبارك سلامة، رئيسًا عامًّا

وعند الصباح دخلت على معلمي، فأجابني إذهب أعدّ لنا الكنيسة حتى نعمل قدّاسًا حافلاً. فأجبته وما هو السبب للقدّاس [٩] الاحتفالي، فأجابني عندما تدخل الكنيسة أخبرك، وهكذا صار. عندما لبس البدلة وبدأ القدّاس، فقبل التقدمة التفت إلى الشعب الحاضر وقال لهم الآن تسمعون الشماس يقول كلامة غير اعتيادية فلا تتعجّبوا لأن رومية أمرتني أن أخدم الرهبنة بوظيفة رئيس عام. فما سمعت تلك العبارة حتى كدت أطير من عظم فرحي. وبعد القدّاس أخرجناه من الكنيسة بزيّاح حافل وبدئت [وبدأت] الأفراح.

١٥– الأخ الياس ينجز دروسه

ولما لم يعد بإمكان الأخ الياس أن يواصل دروسه عند معلمه الأب مبارك بسبب الوظيفة طلب إليه أن يرسله إلى عند الأب أنطونيوس مشمش الذي كان

رئيس ميفوق حتى يكمل له دروسه. وبعد أن أكمل الجزء الأول من اللاهوت الأدبي، استدعاه أيضًا معلّمه الأب مبارك حتى يكون معه في زيارة الأديرة ويواصل دروسه عند الأب جرمانوس الديراني الذي كان كاتب أسراره. وهكذا أكمل درس اللاهوت وأراد معلّمه أن يرقّيه إلى درجة الكهنوت، ولكن الأب نعمةالله الكفري الذي كان مدبر ثاني وفاحص عمومي لكل من يريد الارتقاء إلى درجة الكهنوت لم يسلّمه الشهادة بعد أن فحصه جملة مرّات، وفي كلها كان ينجح تمامًا. أخيرًا عرف معلّمه أن تمنّع الكفري عن تسليم الشهادة ليس القصور في العلم بل لأجل غايات خصوصيّة. حينئذ أمر معلمه أن يجري فحصه بحضوره، وهكذا صار، ولما تحجّج، قال معلمه هوذا قد نجح في الفحص فلماذا لا تسلّمه الشهادة، فأجابه يلزم أن نمتحنه أيضًا. حينئذ أجابه الرئيس العامّ ألا تعلم اني قادر أن أرسمه بدون شهادتك، وإنما اعتبار لخاطرك لم أفعل حتى الآن. فإن لم تشأ أن تسلّمه الشهادة فإني أصحبه معي غدًا إلى بكركي وهناك أرسمه كاهنًا شئت أم أبيت. [١٠] حينئذ سلّمه شهادة ناقصة، ولما نظرها معلّمه الأب جرمانوس قال له الأحسن أن لا تكون أخذتها، ثم خزّقها وطرحها في السلّة.

١٦– سيامة الأخ الياس

وثاني يوم حضروا لعند البطرك. وكان المرحوم المطران يوسف نجم هناك. فقال له الرئيس العامّ نرجو من سيادتكم أن ترقّي لنا هذا الشماس إلى درجة الكهنوت، فقد أكمل دروسه ونال الشهادة من الفاحص العامّ. فأجابه أن كلامكم أكبر شهادة ولأجل ذلك أبقوه عندي اليوم هنا في بكركي وغدًا نصعد إلى دير نسبيه ونرسمه هناك، لأن كتاب الشرتونية هناك، لأن عمار بكركي لم يكن كمل منه في ذاك الوقت إلاّ ممشى القبلة وقسم من الممشى الغربيّ فقط. ولأجل ذلك كان البطريرك يقيم في دير سيدة نسبيه مع حوشته كلّها.

وتاني يوم ذهبت إلى دير نسبيه مع المطران نجم ولما وصلنا أمرني أن أعمل رياضة واعترف اعترافًا عامًّا. وعيّن مرشد الخوري بطرس غزير من حلب. وبعد الرياضة رقّاني إلى الدرجات الصغار، وثاني يوم انجيلى، وثالث يوم كاهن، وكان العرّاب الخوري أنطون عريضة الذي صار بعد حين مطرانًا على طرابلس الشام. وبعد الرسامة أخذني المطران نجم إلى عند البطرك حنّا حتى أنال بركته. فبعد أن قبلت يده أمرني بالجلوس وأخذ يعظني بكلام بليغ، موضحًا عظم درجة الكهنوت وكم يلزم لمقتبلها من القداسة والفضيلة، وما كاد غبطته ينتهي من كلامه حتى دعاني المطران يوحنا حبيب الذي كان موجود هناك حتى أجلس بقربه على الديوان، وأخذ يشرح لي عن عظم المقام الذي رقيت إليه بكلام [..] عذب كالعسل، ولو [١١] لم يستدعني المطران يوسف نجم لعنده حتى يسلمني شهادة الرسامة، لحبيّت [لأحببت] أن أبقى طويلًا بقرب ذاك الشيخ الجليل القدّيس، أستفيد من كلامه. أخيرًا أخذت بركتهم وذهبت أشكر أفضال عرّابي، الخوري أنطون عريضة. وما كدت أدخل عليه حتى نهض لاستقبالي وجثى [؟] أمامي طالبًا أن أباركه، وأخذ يدي ولثمها وجهًا وقفا. فجثوت أنا أيضًا أمامه طالبًا بركته، وأخذني من يدي وأجلسني على كرسي بالقرب منه وأخذ يعظني بكلام روحي، وبصوت عالي، حتى سمع صوته في كل الدير. ولما انتهى ذهبت أشكر فضل مرشدي الخوري بطرس غزير، فوجدته خرج للنزهة بالحرش قرب الدير.

١٧– عودة الأب الياس إلى الدوّار

فودعت الحوشة وخرجت قاصدًا مركز الرئيس العامّ في دير مار موسى الدوّار. ولما خرجت من الدير وجدت الخوري بطرس غزير جالسًا تحت الصنوبر ينتظرني. فبعد أن شكرت أفضاله وباركته وباركني، جلسنا نتحدث برهة من الزمان ثم ودّعته ونزلت من هناك على طريق درعون، عينطوره، إلى نهر الكلب، حيث وجدت مكاري من الدوّار، فطلبت منه أن يركّبني الى الدير. فترك الطحنة في الطاحون وركّبني

إلى أن وصلت لقرب الدير، وهناك نزلت عن بغلته، ودفعت له الإجرة، ودخلت الدير. وبعد مغيب الشمس، حيث كان الرئيس العامّ وباقي الجمهور خارجين من المائدة فاستقبلوني باحتفال وكانوا يقبّلون يدي على الوجهين. وتاني يوم كان الأحد، وهو أول يوم من شهر أيار سنة ١٨٩٢ فبعد أن قدّس الكهنة كلهم، احتفلت بقدّاسي الأول، وكان يعاونني المرحوم الأب إبراهيم الخلّة. [١٢]

ومن ثم بقيت في دير مار موسى مستلم الخياطة، وكانت ثياب المبتدئين كلها رثّة، فطلبت من الرئيس العامّ بتجديدها، فأمرني أن أذهب إلى عند أخيه الخواجا الياس بطرس في المتين، وأعمل لهم ثياب للمبتدئين، لكل واحد ثلاث بدلات جدد. وهكذا نظّفت المبتدئين والدير من الأوساخ.

١٨– سفر الأب الياس لزيارة أهله

وبعد أن أكملت شغلي، قال لي الرئيس العامّ يلزم تزور أهلك، خصوصًا والدتك، (وكان قد نظرها عندما زار دير قرطبا وزار أخي الخوري في البيت) وسمح لي بفرصة شهر زمان فقط وأعطاني خرجية الشهر فودعتهم قاصدًا قرطبا عن طريق غزير ومنها إلى مدرسة القرن، لكي [؟] التلاميذ هناك وهم طوبيا إبن أخي ويزبك إبن اختي. فوصلت لعندهم مساء ونمت هناك.

وتاني يوم سافرت عن طريق يحشوش، وعندما وصلت إلى النهر، اعتراني عارض مرض قويّ جدًّا، ولم يكن موجود هناك سوى راعي معزي يسقي عنزاته. فأخذ المسكين يهتم بي بما يمكنه، وجلب لي طاسة حليب. وما كدت انتهي من شربها حتى استفرغت كل شيء، وبعد ذلك ارتحت قليلًا وقصدت بيتًا هناك، قريب من النهر، وطلبت من أهل البيت أن يعطوني فرشة لأرتاح عليها قليلًا لأني مريض. فشفقت العجوز عليّ واهتمت بي كأبنها، وغسلت لي رجليّ بماء حار، وسقتني

فنجان ماء حار، لونه كالشاي، لكن طعمه مرّ مثل الصبر. وبعد أن [١٣] شربته استفرغت كل شيء في معدتي، وزال عنّي كل وجع وحمّا، فنمت نوم ثقيل ساعتين زمان. ولما وعيت ودّعتهم، وشكرت فضل العجوز التي ألحّت عليّ لكي أبقى عندهم تلك الليلة، خوفًا من أن يراجعني العارض علي الطريق، ولكني طَمَّنتها، وشكرت معروفها، وخرجت قاصدًا قرطبا، وكان النهار قارب الزوال، وأنا أجهل الطريق، وأظنّ أن المسافة قريبة، ولكنها كانت طويلة أكثر من ساعتين.

وما كدت أصل إلى حرش [...] حتي داهمني المساء، وليس في إلا كم بيت متاولة. فاستأجرت أحد الشبّان لكي يرافقني إلى مزرعة جنّة، وأخذ معه عود لقش لكي تضيء على الطريق. وهكذا وصلت إلى جنّة عند الساعة الثانية في الليل، على الحساب العربي، ونمت تلك الليلة عند شريك الدير. وثاني يوم راجع [رجع] المتوالي إلى بيته، وأنا قدّست في الكنيسة، وفطرت عند ابن عمي اسكندر بولا [؟]، ثم صعدنا سويّة إلى قرطبا. وكان اسكندر المذكور يعمل جهده لكي يقنعني لأبقى هناك في جنّة، وهو يذهب ويخبر أخي والأقارب لكي يأتوا ويستقبلوني باحتفال حسب عوايدهم، فلم أزعن [أذعن] له.

١٩– وصول الأب الياس إلى قرطبا

وهكذا وصلت إلي البيت بدون أن يعرف أحد بقدومي. ولما لم أجد والدتي في البيت دخلت إلى بيت عمّي يوسف. وبعد قليل عرفت والدتي فأسرعت بالمجيء إلى البيت، ولما نظرتني [١٤] عند بيت عمّي أخذت تغنّي من فرحها بعض أغاني نسوانيّة المعروفة، (أوها). ثم أقبلت نحوي تضمّني وتقبّل يدي مرارًا عديدة، ثم ذهبت معها إلي البيت وهناك أقبل الناس يباركون لي ويلثمون يدي وجه وقفا.

ثم حضرت إلى الدير، وهناك نظرت عمّي المرحوم الأخ الياس، وابن عمي

المرحوم الأب يوسف، وباقي الرهبان الذين كانوا يعرفوني، لأني قضيت زمانًا معهم. وبعد ذلك أخذت أزور الناس الذين جاؤوا لعندي. ولما خلصنا من هذه الزيارات، قال المرحوم إبن عمّي الأب يوسف: هلمّ نعمل يوم فرح وتنزيهة في مغارة أفقا.

٢٠– نزهة في أفقا

وكان ثاني يوم الأحد وكان ملتزم أن يقدّس في قرية المجدل لأنه كان خادمهم. فذهبنا عند المساء وبتنا عند بيت شاكر في المجدل، وكان عددنا ثمانية أنفس: الأب يوسف، والأب بولس، والأخ اغناطيوس التنوري، الذي كان يدرس اللاهوت عند الأب بولس، وأولاد عمّي: روفايل، ولحّود، وبطرس حبيب، ويوسف سمعان. وبعد القدّاس ذهبنا إلى أفقا وكان إبن عبّود، أبو حبيب المعّاز، أعدّ لنا راس معزي للذبح. ولما طلعنا إلى المغارة، إجا بعض المتاولة لكي يذبحوا ذبيحة ويخدمونا، لكن أنا أخذت السكين وذبحت التني وهو واقف. [١٥] وكان روفايل يساعدني. فلما نظرني المتاولة إني ذبحت الذبيحة، زعلوا لأنهم لا يأكلوا من ذبيحة النصارى. فأخذ الأب يوسف يتملّقهم ويعتذر لهم بأني لا أعرف عوايدهم لكوني ساكن في بلاد الدروز، ثم أنهم أعطوهم خبز وجبن وغيره فأكلوا وانصرفوا عنّا، كأن الله دبّر هكذا حتى نرتاح منهم.

وقد قضينا ذاك النهار كلّه بالفرح والسرور، وأكلنا الذبيحة كلها ولما تبقّى منها شيئًا، عدى عمّا كان معنا من المواكيل التي أخذتها من البيت. وبعد الظهر دخلت الشمس للمغارة وأردنا أن ننزل إلى تحت الصفصافة التي على كتف الطاحون، ولكن المتاولة كانوا قاعدين هناك وعمّال يبيعوا قمر الدين وتفّاح. فقال الأب بولس أنا أشحطهم بحرفة، وهي أنني أتظاهر بأني سكران، وآخذ السكّين بيدي وأهجم عليهم، وانتم تمسكوني وتمنعوني عن ذلك، وهكذا صار. فتقدّم الأب يوسف إلى

المتاولة وقال اعملوا معروف انقلوا من هنا لأن هذا سكران ونخاف انه يعمل لكم. فأخذوا أمتعتهم وذهبوا والأب يوسف ما زال يهمّ أن يلحقهم. وبعد أن أكلنا فطور العصر هناك رجعنا إلى قرطبا على طريق القادوميّة. وبينما أنا أقطع نهر مقشقش [١٦] من تحت الجسر، زلقت رجلي، ووقعت في الماء لكني لم أغرق، بل كنت أذهب مع جرى بدون أن أجد شيئًا أمسك به وأصعد من الماء. أخيرًا لما نظرني روفايل قريب من السقوط في الغبيط، تقدّم وناولني الشمسيّة، فمسكت بها وصعدت من الماء وبعد أن تبلّلت شدّتي [حذائي] وقسم من ثيابي. ولكن هذا الحادث لم يكدّر سرورنا بل زادنا ضحك وانبساط، وهكذا وصلنا إلى الدير بعد الغرب [الغروب]. وكانت والدتي وإخوتي أعدّوا لنا عشاء جميلًا، لكن بسبب التعب لم أذهب معهم إلى البيت، بل نمت تلك الليلة في الدير.

٢١– عودة الأب الياس إلى دير مار موسى

وهكذا قضيت شهرًا من الزمان بين الأهل بكل فرح وسرور وعدت إلى دير مار موسى، حيث كنت ومررت في طريقي على الزعرور، حيث كان قسم من المبتدئين هناك. وصعدت مع أحدهم إلى قمّة جبل صنّين العالية. وبرجوعنا جبنا معنا قطعة ثلج، وثاني يوم نزلت إلى الدير، وكان الرئيس العامّ والمدبّرين هناك. وكانت أثواب المبتدئين رثّة وسخة للغاية. وعندما نظرت ذلك أخبرت الرئيس العامّ بالحالة صريحًا، فأمرني أن أذهب إلى المتين لعند أخيه وأعمل ثياب للمبتدئين كلها جديدة وكافية.

وبعد أن عملت لكل مبتدئ ثلاث بدلات خام جديدة رجعت [١٧] حينئذ لتنظيف فرشاتهم، واستدعيت منجّد يهودي، وعملت كل الفرشات جديدة، وكان ذلك على حساب الرئيس العامّ. ولكن رئيس الدير الأب اجناديوس المتيني لم

يكن مبسوط من عملي هذا. وبعد أن ذهب الرئيس العامّ والمدبّرين إلى طاميش أخذ يعاكسني ويستبدّ بالمبتدئين، حتى انه في أيّام الصوم ما كان يطعمهم إلا وقعة واحدة. ولما أخبرت الرئيس العامّ بذلك حضر بذاته إلى الدير ووبّخ الرئيس على عمله هذا، وأصلح معاش الجمهور حسب الإمكان ...

٢٢- الرياضات الروحية والتعليم

وإجابة لطلب الرئيس أرسلني أنا إلى عمل الرياضات مع الأب اسطفان بنتاعل إلى أديرة الجبّة، حيث عملنا أول رياضة للرؤساء وحدهم في دير بصرما، ثم عملنا في كلّ دير رياضة. ولما رجعنا من هناك ذهبت إلى دير مار يعقوب الحصن، حيث كان الأب أغوسطين رئيسًا هناك، وقضيت أشهر الصيف هناك. وفي أيّام المدارس طلبني الرئيس العامّ أكون معلّم أولاد في دير مار مخايل بنابيل فتوجهت إلى هناك وكنت مسرور جدًّا. وقد اجتمع عندي لا أقلّ من ستّين ولد من كل القرى المجاورة للدير. وبعد أن قضيت هناك ثلاث سنين، أرسلني الرئيس العامّ إلى دير الناعمة لكي أعلّم تلاميذ الرهبان هناك، وكان رئيس الدير الأب شربل الديراني. وعند نهاية السنة ذهبت إلى عند الرئيس العامّ وطلبت منه أن يسمح لي لأكون في مدرسة [١٨] الحكمة عند المطران الدبس، لأني عرفت أن تلك السنة هي سنة مجمع وإن البطرك حنا الحاج زعلان من الرهبان، وعلي الخصوص من الأب مبارك الرئيس العامّ، وانه لا بد أن ينزلّه عن الرئاسة العامّة كيف كان الأمر، وهكذا صار. وأنا كنت في مدرسة الحكمة ثلاث سنين. ولولا بعض حوادث سياسيّة كانت ما بين المعلمين والمطران ودخلوني [وأدخلوني] معهم لكنت بقيت هناك إلى ما شاء الله. ولكن بسبب ذلك اعتفيت من المطران الدبس وذهبت إلى قرنة شهوان عند المطران نعمة الله سلوان. وكنت هناك إلى أن مات البطرك حنا الحاج، وقام البطرك الياس.

٢٢– التعينات الجديدة

وإجت أوامر رومية بتسليم الزيارة على الرهبنة للبطرك الياس وانه هو يعيّن الرؤساء الذين يراهم موافقين. فعيّن الأب يوسف السرعلي رئيس عامّ، ومعه مدبّرين: الأب واصاف الجاجي، والأب مرتينوس الدرعوني، والأب اجناديوس المتيني، والأب أنطون الناعمة. وعيّنوا رؤساء الأديار وشدّدوا بتعيين الأقانيم، وعينوني أقنوم في دير قرطبا. فحضر [فحضرت] إلى هناك قبل أن تكمل السنة المدرسيّة. ولما لم يشاء الرئيس [رئيس] الدير الأب يوحنا غبالي أن يسلّمني وظيفة الأقنوم، حسب الأوامر المشدّدة، اعتفيت من ذلك وذهبت مع الخوري يوسف العاقوري في عمل رياضة [١٩] الكهنة.

وبعد نهاية الرياضة أمرني غبطة البطرك أن أذهب إلى دير نسبيه في غسطا واستلم تلاميذ الرهبان هناك. وكان الأب إسطفان بنتاعل رئيسًا على المدرسة المذكورة. وبعد عيد الفصح، حضر الرئيس العامّ السرعلي والمدبّر واصاف الجاجي لكي يزوروا المدرسة ويفحصوا التلاميذ. وبغضون ذلك شدّد الرئيس الأب إسطفان الأوامر عليّ بأن لا أدع أحدًا يخرج من الدرس إلاّ بأمر منه. وعند المساء وجدت بعض التلاميذ غير موجودين في الدرس، ولا طلبوا إجازة، وهم الأخ موسى والأخ مبارك الجاجي. فأخبرت الرئيس بذلك، وثاني يوم عرف المدبّر واصاف بذلك، فتكدّر مني وظن أن ذلك احتقارًا منّي له، وأمر بقيامي من هناك. وأعطوني أمرًا لأذهب إلى دير القطّارة. ولكني ذهبت إلى الرئيس العامّ وطلبت منه أن يبدّل الأمر إلى دير مار موسي الدوّار، حيث كان الأب ابراهيم الخلّة رئيسًا. وبينما الكاتب يكتب لي الأمر إلى مار موسى دخل المدبّر واصاف وسأل، ما هذا، فأجابه الكاتب إني لا أشاء الذهاب إلى القطّارة، بل طلبت أن أذهب إلى مار موسى. فغضب وقال: كل راهب تعمل له على خاطره، فاجبته بحدّة لا أحب أن أكون حيثما لك سلطة. [٢٠] فغضب لذلك جدًّا حتى نفر الدم من مناخيره، فوضع محرمته على مناخيره وخرج. وأنا أخذت الأمر وذهبت حالًا إلى بكركي وأخبرت البطرك، فأجابني طوّل روحك

واذهب بحيث أمر الطاعة، وعندما يرجعوا من غسطا ويمرّوا من هنا أنا أكلّم المدبّر واصاف بخصوصك.

٢٣– بين دير مار موسى ومدرسة المتين

وما كدت أصل إلى دير مار موسى حيث فرح بي ذاك الريّس القديس وفرحت به جدًّا. وكنت أفضّل الموت عنده، وإلاّ بأمر من المدبّر اجناديوس يأمرني أن أذهب إلى مدرسة المتين لكي أعلّم الأولاد هناك. فزعل الريّس جدًّا، وزعلت أنا أيضًا، وكَتَبَ إلى المدبّر يرجوه أن يبقيني هناك، فإجا الجواب، خلّيه يذهب مدة إلى أن نوجد غيره فيرجع لعندك. وهكذا ذهبت إلى المتين أعلّم أولاد [الأولاد]، ولكن التعب الذي تعبته في غسطا بان فيّ في المتين، وكانت صحّتي كالعدم، حتى ظنّ الكثيرون إنّي مريض في السلّ، ولكني ذهبت إلى عند الدكتور خليل نعمة، الذي فحصني أولًا وثانيًا وثالثًا، وأعطاني علاجًا نافعًا جدًّا، فصحّت صحتي، وأخذت أعلّم الأولاد في النهار والشبّان في الليل ...

ثم طلبت الستّ إم عقل أن أعمل أخويّة للنساء لعلّهم يتهذّبوا قليلًا، وقد اعتفيت [من] ذلك مرارًا عديدة، لكن أخيرًا إجابة لخاطر معلّمي الأب مبارك، باشرت العمل في كنيسة المدرسة فقط لزعمي أنّه لا يوجد أحد يدخل في هذه الأخويّة إلاّ بعض النساء الشقيّات، مثيل [٢١] إم عقل، وحرمة راشد، وغيرهنّ فقط. ولكن لم يمضِ على تأسيس الأخويّة إلاّ الشهر الأوّل، حتى لم تعد الكنيسة تساع الطلبات. أخيرًا طلبوا أن أذهب إلى كنيسة السيدة بصفة خادم رعيّة، فنفرت من ذلك غاية جهدي، ولكني أخيرًا امتثلت لأمر معلّمي واتكلت على الله وذهبت إلى كنيسة السيّدة أولًا، وطلبت منها أن تمنحني الصحة اللازمة لخدمة الرعيّة وتحفظني بنوع مخصوص من خطيّة الدنس، وتعطيني نعمة الطهارة. وقد اختبرت بالفعل حماية

السيّدة لي وأجابة [وأجابت] كلّما طلبت. ففي مدة خدمتي لها لم أشعر بمرض مع كل تلك الأتعاب، فقد كنت أمضي كل يوم لا أقلّ من ساعتين في كرسي الاعتراف، حتى إنّي التمست من مطران الدبس أن اسمع اعترافات النساء في الليل أيضًا . وقد بلغ عدد بنات الأخويّة مايتين وخمسين نسمة. ثم أسّست شركة قلب يسوع كل نهار [...] الجمعة [...] التعويض، وكانت البتول صاحبة المقام تقوّيني على بعض أشياء لم يخطر ببالي نجاحها.

٢٤- بعض الصعوبات والمشاكل في الرعيّة

وأخيرًا لم [لما] عظم حنق الشيطان من أعمالي، أخذ يُوَسس [يُوسوس] لبعض الكهنة إخوتي أن يعاكسوا أعمالي بواسطة نفوز [نفوذ] بعض الأوجه، ويأوّلوا أعمالي كلها إلى الشرّ، وحبّ النساء، وغير ذلك. فعند [فعندما] نظرت ذلك تركت المتين بدون أن أخبر أحدًا، وذهبت إلى بيروت على أمل أن لا أعود، ولكنهم أرسلوا رسولًا يدعوني لأرجع، فرجعت إجابة لصوت معلّمي. ولكن [٢٢] إخوتي الكهنة أقنعوا معلّمي أيضًا بأني رجل عاطل، محبّ النساء، ولما عرفت ذلك تركت المتين وذهبت إلى دير مار مخايل بنابيل، ثم إلى مار موسى، ثم رجعت إلى مار مخايل بنابيل. فظنّ البعض إني أسعى لأعود إلى المتين، فكتبوا إلى المدبّر بولس بهذا الخصوص، وهو أقنع الرئيس العامّ الكفري أن يطلبني إلى عنده حالًا، تحت قصاص الربط.

٢٥- الأب الياس في طاميش

فاستلمت الأمر وحضرت حالًا إلى مار موسى وثاني يوم حضرت إلى طاميش لعند الرئيس العامّ. ولما وصلت، سألني من [أين] أتيت اليوم، فأجبته تشرّفت

بأمركم نهار البارح بعد الظهر فأسرعت بالمجيء إلى مار موسى حيث نمت. اليوم أتيت من مار موسى. فسألني كيف حال الرئيس فأجبته بخير يقبلّ يديكم. فغضب الرئيس العامّ وقال لي لماذا تكذب، أنت تقول أنك أتيت اليوم من مار موسى وإن رئيسه طيّب بخير، ونهار البارح حضر مرسلين إلى عند المدبّر بولس، أخو الريس، وأخبروه أن أخاه مريض للموت، وهو يطلبه حتى يحضر لعنده حالًا، وقد سافر المدبّر في هذا الصباح، وأنت تقول أن الرئيس مبسوط، فأنت كذّاب، ولم تكن في مار موسى.

فسجدت حينئذ قدّامه وقلت له يا أب العامّ إغفر لي وها أناذا باقي هنا. أرسل قدسك رسول إلى مار موسى، فاذا لم يجد الرئيس مع الفعلة يصلح حارة الشريك فأكون أنا كاذبًا، وافرض عليّ القصاص الذي تريد. [٢٣] ثم سألته، من هو الرسول الذي حضر لعنده وأخبره أن الرئيس مريض، فاجابني الرئيس العامّ هو يوسف ومعه شاب آخر حينئذ فهمت أنا أشرت [؟] وضحكت وقلت لهم أن الشاب الذي كان مع يوسف هو العريس والبنت هي قرابة يوسف، وقد حضروا حتى يعزموا المدبّر لكي يصلّي العرس.

حينئذ الرئيس العامّ تكلم سرًا مع الكاتب والمدبّر شكري وأمرني أن لا أبارح الدير في ذاك النهار، وهم كتبوا إلى المدبّر بولس يخبروه أن الرئيس العامّ راجعه مرض القلب، وأن المدبّرين كلهم غايبين، وأن الرئيس العامّ دخل بالنزاع فيلزم حضورك حالًا... وسلّموا المكتوب إلى رسول فطن، وقالوا له: لا تسلّم المكتوب إلا ليد المدبّر حيثما يكون حالًا.

فذهب الرسول ولم يجد المدبّر في الدير، بل كان في بيت العرس. وقد ألحّ الرسول ليروه المدبّر حالًا، لأن المكتوب ضروري. أخيرًا أخذوه إلى بيت، فوجد المدبّر يصلّي العرس فوضع له مكتوب فوق، ولما قراه شال البطرشيل من عنقه وسلّمه إلى الأب ارسانيوس، وأمر أن يعدّوا له البغلة حالًا ويلحقوه على الطريق. وقد ألحّ عليه أهل العرس ليأكل لقمه من عشاهم فلم يقبل، بل خرج مسرعًا إلى طاميش.

ولما وصل إلى الدير ظَنَّ أنه يجد الرئيس العامّ قد مات ووضعوه في الكنيسة، ولكنه ما كاد يصل إلى راس الدرج حتى سمع صوت الرئيس العامّ يصلي المسبحة في الممشا. ولما سمع دعسة المدبّر صاح به من أنت، وأجابه أنا المدبّر [٢٤] بولس، وحينئذ غضب الرئيس العامّ غضبًا قويًّا جدًّا ورفع صوته يوبخ المدبّر بكلام مرّ جارح للغاية حتى استفاق على صوته المدبّر شكري والكاتب وباقي الرهبان، وأخذوا يترجّوا الرئيس العامّ ليسكت لأن الوقت ليلًا.

٢٦– الأب الياس في دير سيدة المعونات ومن ثم في دير مار سركيس وباخوس

وبعد [سألوا] ذلك الرسول أين وجدت المدبّر فأجابهم في العرس... وأمّا أنا فقد حكم عليّ أن أذهب في طريقي ولكن المدبّر بولس سأل عن الذي أخبر الرئيس العامّ عنه فعرف أنّي أنا أخبرت ذلك، فحنق عليّ جدًّا وكان يسعى إلى نقلي من مكان إلى آخر ظنًّا منه أنّه يكّدرني بذلك. ولكن أنا كان الأمر معي بالعكس حيث كنت كلّما نقلت من محل إلى آخر أزداد سرورًا وفرحًا وهكذا بمدة خمسة أشهر، نقلوني سبع مرات، وآخر مرّة كانت دير البنات في جبيل حيث خدمت كنيسة مار جرجس وأصلحتها. ثم نقل الأب جرمانوس إلى قرطبا فأخذني معه ولكنني مرضت بسبب البرد وأشار الحكيم أن أرجع إلى الساحل وهكذا نزلت إلى جونيه لعند الطبيب الشهير فارس نجيم. وبعد أن قضيت عند مدّة أتاني أمر أن أحضر إلى أنطوش جبيل خادم رعيّة مع الأب مخايل راشانا.

٢٧- الأب الياس في أنطوش مار يوحنا مرقس ومن ثم في مدرسة الحكمة

[٢٥] وبعد أن أقمت في جبيل أربع سنين جدّدت فيها أخوية الحبل بلا دنس، وساعدت الرئيس في إصلاح الكنيسة. وكانت الرعيّة تنقاد إلى كلامي أكثر من كلام الرئيس. حينئذ داخله شيطان الحسد، وساعده بعض المفسدين، حيث أقنعوه أني مريض بالسلّ، وأنه يجب قيامي من هناك. حينئذ تسلّمت الأمر وذهبت إلى بيروت حيث تعيّنت في مدرسة الحكمة وكيل قسمة [قسم]. إلا أن رئيس الأنطوش في جبيل قامت عليه الرعية بسبب قيامي من هناك، ولكي يسكتهم، قال لهم إني مريض بالسلّ، وأن الطبيب هكذا حكم. حينئذ ذهب أحد أهالي الأولاد الذين [في] مدرسة الحكمة إلى عند رئيس المدرسة وأخبروه أني طُردت من أنطوش جبيل لأني مريض بالسلّ، فكيف يقبلني حضرته مع الأولاد؟ فاذا لم يطردني فهم مستعدين أن يأخذوا أولادهم إلى غير مدرسة. حينئذ استدعاني الرئيس وأخبرني بهذا الكلام وأنه يجب أن أترك المدرسة، [٢٦] وحالًا خرجت من هناك وذهبت إلى دير الناعمة. ولكن خبر ذهابي من مدرسة الحكمة سبّب فرحًا عظيمًا لرئيس الأنطوش في جبيل. وبعد مدة أشاع خبر في جبيل أني مت بالسلّ، وكتب لي بعض الأصحاب يسألوا عن صحة الشحير [؟] فلم أجبهم شيء.

٢٨- الأب الياس في دير الناعمة ومن ثم في دير حوب

وكنت في دير الناعمة مسرور جدًّا روحيًّا وزمانيًّا، إلا أني تشرّفت بأمر الرئيس العامّ يوسف رفّول، حتى أذهب إلى دير حوب، وكان رئيسه الأب ليباوس التنّوري، أحد أرفاقي في الابتدا والمدرسة. فسررت عنده جدًّا، وعيّني مسعفًا للأخ بيمين التنوري الكرّام. وكنت أنام في الكرم، وبقيت هناك إلى آخر تشرين الأول، ومن

ثم أمرني أن أنزل إلى الزكزوك لعند الأخ جيديوس التنوري، فنزلت لهناك وكنت أيضًا مسرورًا جدًّا.

٢٩– الأب الياس رئيسًا على مدرسة بسكنتا

وفي شهر نيسان اجتمعت الزيارة وأعلنت الأب اجناديوس الشبانيّة رئيسًا عامًا، والأب أنطونيوس لحفد مدبر، وقد عيّنوني رئيسًا على مدرسة بسكنتا. وبغضون ذلك كانت رجلي توجعني بسبب جرح، فاعتفيت، ولم يقبلوا اعتفائي. أخيرًا ذهبت إلى مدرسة بسكنتا، ولكن بسبب السفر التهب الجرح و[...] منه فتركت المدرسة وذهبت إلى عند حكيم بتغرين الذي أمرني أن أبقى عنده مدّة إلى أن يطيب الجرح. حينئذ وجدت الفرصة مناسبة لتكرار الاعتفاء من رئاسة المدرسة، وأخذت أكرر المكاتيب إلى الرئيس العامّ بهذا الخصوص حتى قبل اعتفائي.

٣٠– الأب الياس في دير عنايا

وبعدما طاب جرحي أرسلوني إلى دير عنايا، وهناك رجع جرح رجلي يلتهب بسبب المشي. حينئذ نزلت إلى جبيل، لعند الكتور جورج، ومكثت عنده شهر زمان حتى شفيت رجلي تماما. ثم [٢٧] رجعت إلى دير مار مارون عنايا وقضيت هناك كل مدة الشتي. وفي غضون ذلك تعاظم الاختلاف ما بين الزوار والرهبان، وكانت جريدة المُناظر تطعن في الزوار والرئيس العامّ، وكانت أغلب المراسلات تذهب من دير عنايا. ولما عرف الرئيس العامّ بذلك، أرسل المدبّر أنطونيوس حرفوش وأنطونيوس لحفد لكي يفحصوا ويحققوا في الأمور، ومعهم أوامر مشددة جدًّا، لكن ذهب كل تعبهم أدراج الرياح ورجعوا فارغين. وكنت أنا من جملة المتهومين بالمراسلات. لأجل ذلك

ضجرت روحي من الحالة التي كنا بها، سوى كان من جهة الرئيس أو من جهة الرهبان.

٣١- الاب الياس يسافر إلى قبرس

أخيرًا بلغني أن الرئيس العامّ يطلب كاهن حتى يرسله إلى قبرس. فأسرعت لديه ورجوته أن يرسلني إلى قبرس، فقَبِل، لكن المدبّر أنطونيوس لحفد لم يقبل، وأقنعني لأعود إلى دير عنّايا، فرجعت مكرهًا. وبعد مدة، عرفت أن المدبّر أنطونيوس بعيد عن مركز الرئاسة العامّ [العامّة]، فكرّرت الطلب إلى قدسه ليرسلني إلى قبرس، فاستدعاني لديه حالًا مع ثيابي، فأسرعت وأخذت منه الأوامر بخدمة الرعيّة في الماغوسة. ونزلت حالًا إلى بيروت لعند ذلك الصديق العزيز المرحوم المطران بطرس شبلي، وأخبرته إني مسافر إلى قبرس، فأجابني بكل دالّة: لقد ضاقت أديرة لبنان عليك حتى أرسلوك إلى قبرس. فأجبته أنا طلبت الغربة بخاطري لأن أحوالنا كما تعرفها سيادتكم، والآن أتيتك مودّعًا، وراجيًا منكم ورقة لكيانية البابور الإيطلياني، ليقطعوا لي ورقة سفر بنصف نابليون. فأجابني: بكل طيبة خاطر، وحالًا أخذ القلم وكتب بيده الورقة، فأخذتها ولثمت يده مودّعًا، فأجابني: لا تقطع أخبارك عنا، ومهما لزمك عرّفني. وهكذا خرجت من عنده إلى محل الأجانصة الإيطاليانية، حيث قطعوا لي ورقة سفر في الدرجة الثانية، ونزلت إلى البابور بمعية الأخ الأنطونيوس [أنطونيوس] سالم الذي ودّعني ورجع إلى شغله. وكان ذلك نهار الخميس ٧ أيار بعد الظهر. وعند الساعة ٩ ليلًا أقلع فينا البابور إلى قبرس، فوصلها عند الصباح. [٢٨] خرجت من البابور إلى محل الكومروك، حيث نظروا أمتعتي، وأرسلوا معي عتّال يحمل الشنتة إلى كنيسة الموارنة. فاستقبلني كاهن شيخ جليل إسمه الخوري يوسف برتلا، ورحّب فيّ جدًّا. وبعدما أخبرته عن سبب مجيي [مجيئي]، قال لي فاذا لازم تذهب لعند وكيل المطران في العاصمة لنكوسيا [نيكوسيا]، وحالًا اهتمّ، وقطع لي ورقة سفر في عرابية البوسطة،

لأنه لم يكن يوجد غيرها في ذلك الوقت. وهكذا سافرت من لرنكا، الساعة واحدة بعد الظهر، فوصلت إلى لنكوسيا الساعة خمسة. قضيت على الطريق أربع ساعات، وكان الخوري برتلا أوصى العربجي أن يرسل معي عتّال يدلني على كنيسة الموارنة في لنكوسيا. وهكذا وصلت بكل راحة إلاّ أني لم أجد وكيل المطران هناك فالتزمت أن أذهب لعنده إلى كورماجيت.

وباقي الأخبار سبق ذكرها في الأول

فالشكر للاه [لله] الذي سهّل لي السفر إلى قبرس قبل الحرب، وأعطاني النعمة حتى قضيت نحو عشرين سنة في هذه الجزيرة، معزوز مكرم من الجميع، سوى كانوا إنكليز أو روام أو أتراك أو موارنة، وأنا أرجو من جوده تعالى أن يكمل رحمته معي، ويعطيني آخرة صالحة مقرونة برضاه، وموت [وميتة] صالحة، وخلاص نفسي في الآخرة، هذا ما أرجوه من جوده تعالى، بشفاعة والدته الطاهرة، التي وضعت ذاتي تحت حمايتها، من الآن حتى الانتهى [الانتهاء] أمين.

كتاب مفتوح

أبت الجليل تشرّفت بكتابكم وأثرّت فيّ عواطف حبّكم. أما ما تأمروني بتحريره عن أحوالي من يوم وصولي إلى هنا حتى الآن فذاك صعب جدًّا، خصوصًا بعد مضي ست عشر سنة بدون مفكرة ولا يوميّة. إنما إجابة لرغبتكم، وإتمامًا لأمركم، أحرّر لكم ما علق بذهني بقدر الإمكان، لعلّ لكم في ذلك مفخر [؟] ما، وكما قال المثل، ما لا يدرك كاسه يكفي أجله وعليه أقول بالله التوفيق.

سفري من بيروت وصولي إلى هنا

ركبنا البحر يوم الخميس ١٤ أيّار مساء، بعدما ودعت ذاك الصديق الصدوق، المأسوف عليه جدًّا، المرحوم المطران يوسف شبلي، الذي أكرم عليّ بورقة توصية إلى كيانية البابور الإيطالياني حتى قطعوا لي ورقة سفر درجة ثانية بدون ناولون. وصباح الجمعة رسى فينا البابور تجاه مدينة لرنكا، وبعد المعاينة الطبية نزلت من البابور وذهبت رأسًا إلى كنيسة الموارنة، حيث تلقاني كاهن شيخ جليل، هو كاهن الرعيّة، المرحوم الخوري يوسف برتلا. وبعد السلام، أخبرته عن سبب حضوري، وأني أقصد مقابلة وكيل المطران بولس عوّاد هنا في قبرس. فأجابني أنك ربما تجده في العاصمة لنكوسيا. وهكذا سهّل لي سفري مع عربية البوسطة، وأوصى العربجي أن يوصلني إلى دار المطرنخانة المارونيّة في لنكوسيا، لأني غريب [عن] البلاد، وأجهل اللغة. وهكذا وصلت بكل راحة، إلا أني لم أجد حضرة الوكيل هناك لأنه كان ذهب إلى قرية كورماجيت.

وبعد أن بتّ تلك الليلة هناك، وقمت صباحًا، وجدت أناسًا من كورماجيت، فحّامين قد باعوا فحمهم وهم راجعون إلى قريتهم، فطلبت منهم أن يأخذوني معهم ففرحوا، مساكين وظنوا أني آت لأكون خوريهم في كورماجيت. وأعطوني حمارًا من حميرهم، وضعوا عليه فوق الجلال شرشف يقي لي ثيابي من غبار

الفحم. وبما أنهم يعرفوا بعض كلمات عربي تمكّنت من مسايرتهم على الطريق بقدر الإمكان.

ولكن بما أني كنت غير معتاد على الركوب، وخصوصًا على الطريق، كلّها سهل والمسافة [٢] بعيدة، أي سفر تسع ساعات من العاصمة إلى كورماجيت، كنت التزم بعض الأحيان أن أنزل وأمشي لأرتاح قليلًا، إنما كنت أجد الصعوبة في كيف أركب ثانية، ولا يوجد على الطريق شيئًا مرتفعًا لأصعد عليه وأركب، لأجل ذلك كان الرجل المسكين يقدّم لي ركبته حتى أدوس عليها وأركب، لأجل ذلك صرت أتحمّل الإضاقة على نفسي بالركوب حزرًا [حذرا] من أن أدوس على ركبة الرجل...

في كورماجيت

وصلنا إلى كورماجيت عند غروب الشمس، وذهبت بمعيّة الرجل إلى عند الوكيل الأسقفي، فوجدته جالسًا على الطريق مع معلم المدرسة وبعض الشبان، فاستقبلوني بكل ترحاب، وذكّروني بعوايد الموارنة القدما، حيث كان الواحد منهم عندما يقبّل يدي يكشف راسه ويقبّل أولًا ثوبي ثم يدي.

وأمّا أنا فقد غدوت مرتابًا بأمر الوكيل، هل هذا هو الخوري أسقفي يوحنا شيرمي أم غيره، لأني لم أجد عليه شيئًا من ثياب العرس، لا خاتم ولا صليب ولا زر أحمر، وأثوابه وسخة كأثواب خوارنة السريان الذين كانوا يجولوا في لبنان. وفوق الغنبز [الغنباز] كان لابس كتّان بلون رمادي أبرش، لأجل ذلك سألته بكل حرية قبل أن ناولته مكتوب المطران، هل أنت الخوري أسقفي فلان، فأجابني نعم أنا هو .. ولماذا أثوابك هكذا زريّة.. فتبسّم ضاحكًا وقال لي: نحن هنا فقرا، فلاحون، لسنا نظير خوارنة لبنان، أغنيا يعيشون بالترفه والتنعّم.

وبعد أن قرأ المكتوب أمر أن يعدّوا لنا العشاء في القهوة القريبة حيث كنا.

وبعد العشا، اجتمع كل أهل القرية هناك ليروا كاهنًا لبنانيًّا ويسمعوا أخبار لبنان، خصوصًا عن البطرك والمطران. فكنت أنا أخبر، والخوري يترجم لهم، وكان البعض يسألوني، وأفهم منهم وغيرهم يسألوا ولا أفهم إلا بعض كلمات. فسألت الخوري لماذا هكذا، فأجابني أن هذه لغة خصوصيّة لأهل [٣] هذه القرية فقط، لا يعرفها أحد غيرهم وهي كناية من خليط ألفاظ من العربي والرومي والإيطالياني.

وبما أني كنت تعبان من الركوب أكثر من المشي، أستأذنتهم لأنام وكنت أظن أن الخوري أسقفي عنده دار وسيعة يعدّ لي فيها أوضة أرتاح. ولكن وجدت العكس حيث سمعته يسأل معلّم المدرسة: أين أعددتم فرشة للقسيس، فأجاب في بيت فلان، ومن ثم ذهبنا سويّة، فوجدتهم أعدّوا لي فرشة بديعة في تخت ناموسيّة، مجلّلة كلها بالحرير البلدي من شغل أيديهم. إنما البيت صغير حسب بيوت الفلاحين، فصعدت إلى التخت وعند آخر الكلام غرقت بنوم ثقيل لم أنتبه إلا عند الصباح فيما سمعت جرس الكنيسة للقدّاس. فقمت وغسلت وذهبت بمعيّة الرجل إلى الكنيسة.

في الكنيسة

الكنيسة كناية عن عقد قصبة قديمة الأيام، طويلة، ضيقة، وأرضها مملوءة من خليط كراسي صغيرة، يجلس عليها الشيوخ والعجائز. وفي حنية المذبح صورة جميلة جدًّا للقديس جرجس عليه السلام [هي تصوير رومية أتى بها القس ارسانيوس اسكندر عندما رجع من رومية مع عدّة صور غيرها بعد أن أكمل دروسه في مدرسة الموارنة القديمة.] وبعد أن أكملت الصلاة قرعوا الجرس للقدّاس، وأعدّوا لي بدلة جميلة، ووقف في الخورس جوق من الشبّان أصواتهم غاية في الجودة، وأنغامهم ذات أصول رسميّة، وهم يحسنوا قراءة السرياني كما الرهبان. وبعد أن عملنا قدّاسًا حافلًا استغرق نحو ساعة زمان، قدّموا لي عند منح البركة طبق قش عليه قطع خبز صغيرة مموّهة بالسمسم، وطلبوا أن أصلي عليه وأوزّعه على الشعب، وهذه يسمونها مرحمة

عن أنفس الموتى، يقدّمها صاحب القداس أي الذي يكون القدّاس لأجل أنفس موتاه.

وبعد ذلك خرجنا من الكنيسة إلى بيت كاهن الرعية حيث تناولنا غدا النهار، وكان وكيل المطران أعدّ لي الأوامر اللازمة لأذهب إلى الماغوسة محل رعيّتي الجديدة. [٤] فودّعتهم وركبت حمارًا وذهبت أولًا إلى دير مار الياس مطوشي، وذهب معي رجل آخر يهديني الطريق ويرجع الحمار لصاحبه. وبعدما بعدنا عن كورماجيت بنحو ساعة زمان لجهة الشرق، ظهرت أمامنا عمارة كبيرة بيضاء في أعلى الجبل ومن حولها الأشجار الخضرا، فسألت الرجل ما هذه العمارة هناك؟ فأجابني هذا النستيري، أي دير مطوشي، ففرحت بذلك. وبعد ساعتين من الزمان كنا على باب الدير فتلقّاني حضرة الرئيس الفاضل الأب جبرائيل معوّض بالحفاوة اللبنانيّة والمحبّة الأخوية وكذلك باقي الآباء والإخوة. وأعدوا لي مكانًا لراحتي، فأقمت بينهم جمعة زمان قضيتها بالتنزّه والانشراح، ثم طلبت من الرئيس أن يصحبني بأحد الآباء الذين يعرفون اللغة والطريق إلى الماغوسة، فأجاب طلبتي. وثاني يوم صباحًا ركبنا على حمير الدير إلى محطّة سكّة الحديد في دانيا، ومنها إلى العاصمة لنكوسيا، حيث كنت تركت حقيبتي، فأخذتها ورجعنا إلى سكّة الحديد في طريقنا إلى الماغوسة.

في الماغوسة

وصلنا إلى الماغوسة عند المسا، وذهبنا رأسًا إلى عند وكيل الكنيسة وسلّمته مكتوب وكيل المطران، فاقتبلنا الرجل بكل ترحاب وأخذ لنا محلًّا في اللوكنده على حسابه إلى أن يكون أعدّ لي أوضة الكاهن بقرب الكنيسة.

وعند الصباح دخلنا الكنيسة، فوجدتها حسنة البنيان والمكان، مفتقرة إلى كل شيء من الزينة والآنية، وبالكاد يوجد فيها الأشياء اللازمة للقدّاس. وقد وجّهت كل عنايتي إليها حتى صارت اليوم من أحسن الكنائس.

وعند المساء، عقد وكيل الكنيسة وبعض أوجه الطايفة اجتماعًا، وقرّروا أن يدفعوا لي كل شهر ثلاثين فرنك ذهب، وأن بطرك اللاتين في القدس يدفع لي حسنة قدّاسي، كل يوم شلين، فقبلت بذلك مكرهًا على سبيل التوقيت، لأني عزمت الرجوع إلى لبنان.

وبعد مدة وجيزة صار البحرية اللبنانيّون من جونيه وجبيل والبترون يصلون [٥] إلى الماغوسة لأجل جلب الحنطة والخضر، فتونّست بهم قليلًا، وأخذوا يشجّعوني على الثبات في محلي، معدّدين لي الخير الذي أعمله معهم بوجودي هناك، من الاعتراف وسمع القدّاس وتكهين الموتى وغير ذلك. وكنت قد تعلّمت اللغة الروميّة فنسيت وحشة الغربة وبعد سنة وقعت الحرب.

الحرب

وبعد سنة زمان وقعت الحرب المشهورة في ويلاتها وضحاياها. وفي ٤ آب سنة ١٩١٤ أطلق أول مدفع، وكانت تركيّا وإيطاليا بعدهما علي الحياد، وكان البابور الإيطالياني يجول بين بيروت ومرسين وقبرس، وينقل معه كل مرة عدّة عيال، حسبوا للدهر حسابه، أو أنهم عرفوا عن ثقة أن تركيّا ستدخل بالحرب ضدّ الحلفا، فأخذوا يهربون مع عيالهم. وفي ستت [ستة] تشرين الثاني، وقع المحزور [المحذور]، ودخلت تركيّا الحرب، وقطعت كل مواصلة مع لبنان وبيروت، وكان بعض التجّار من جونيه وجبيل أرسلوا بعض المراكب إلى أضاليا ليأتوهم بالطحين الأضالي المشهور ويرجعوهم. هاج عليهم البحر هيجانًا عظيمًا فلجوا [فلجأوا] إلى مينا الماغوسة، وما كادوا يدخلون المينا حتى أتت أوامر الوالي بأسرهم وعدم السماح لهم بالسفر أصلًا. وأتى رئيس المينا وأخذ أوراقهم ونزع دفّات المراكب حزرًا [حذرًا] من أن يهربوا ليلًا.

فحزن المساكين جدًّا وجاؤا إليّ لعلي أستطيع أن أعمل لهم واسطة ما، فذهبت إلى بعض الأصحاب وسألتهم، فأجابوني لا تتعب عبثًا هذا نظم [نظام]

الحرب هكذا.

أخيرًا قصدت قنصل فرنسا في لرنكا لعلّه يقدر أن يعمل لهم واسطة، فوجدته رجل رومي لا يهمه لا الموارنة ولا لبنان ولا غيره. حينئذ رجعت إلى صديقي القميقام [القائمقام] الانكليزي، وكان رجل طيّب القلب، إبن عيله، وبعد كلام كثير أجابني: لا تتعب عبثًا، هذا نظام الحرب، إنما أنا أشور عليك أن تقنع الريّاس حتى يبيعوا الشحن الذي معهم قبل أن يتلف، وأنا أقنع الوالي [٦] بأن لا يعترضهم شيء. (أعني لا يعيّن لهم ثمن المبيع ولأن الحكومة كانت تعيّن الأسعار لكل شيء كل خمسة عشر يوم مرّة وتعلّق التعريفة في الأسواق حزرًا [حذرًا] من مطامع التجار).

وحينئذ أقنعت الريّاس بكلام القمقام، وباعوا شحنهم مثلما أرادوا وربحوا به أرباحًا تذكر، وودعوا المال في البنك حزرًا [حذرًا] من حدوس [حدوث] أمر ما.

وبغضون ذلك، وصلت الدارعة الفرنساويّة دستر d'Estre، بقيادة ذاك الشهم الغيور الكومندان فرنسوا دي جوردان، الذي أعدّ محلًا لتموين البوابير الفرنساويّة التي كانت تجول في البحر المتوسط، وتلجأ إلى الماغوسة. وكان الكومندان المذكور يجول كل يوم بدارعته على سواحل لبنان، ويدنو من البرّ على قدر ما تحمله المياه لكي يخلّص كل من كان يلتجي إلى دارعته، وهكذا كان يرجع كل يوم ومعه أناس هاربون من الجوع والموت...

وفي ذات يوم، أخبرته عن قنصل فرنسا في الملاحة وأني قصدته في مسألة المراكب اللبنانيّة ولم يلفت [يلتفت] إلى كلامي، فأخذ اسمه وخابر بخصوصه وحالًا رفُت [؟] وتعيّن غيره قنصل جديد من مراكش يعرف عربي إلا أنه شاب، لم يبلغ الثلاثين من عمره، وقد نزلت للسلام عليه واستقباله على ظهر الباخرة الانكليزيّة، وكان وعدني بأنه يردّ لي الزيارة في محلي قرب الكنيسة، وعيّن لي الوقت. ولكن سن الولدنة له حق، فبعد أن أكمل شغله في الماغوسة مع الحكومة الانكليزيّة سافر إلى محلّه في الملاحة بدون أن يتذكر وعده لي. وبعد مدة سألني الكومندان: هل زاركم

القنصل الجديد؟ فأجبته: كلا، وأخبرته عن وعده وسفره، فهزّ رأسه وقال المراكز لأهلها... (وبعد مدّة طلب منه الكومندان ليحضر إلى الماغوسة لشغل ما فأجابه أحضر أنت مع الدارعة إلى هنا [٧] وسنتباحث فلم يجبه الكومندان بشيء)[١٣] وأخبر الوزارة فأرسلت لنا قنصلًا، كله غيرة ونشاط ومحبّة إلى لبنان والموارنة، وبكل حق يمكنني أن أقول أنهم لو أرسلوا لنا رجلًا لبنانيًّا لما كان أحبّنا واشتغل لأجلنا أكثر من المسيو جيرمونيره.

وبعد ذلك تعاظمت ويلات الحرب في لبنان، وأخذ الناس يهربون من كل سواحل لبنان، من مرسين حتى حيفا، وكلهم يقصدون الماغوسة إمّا على فلايك[١٤] صيد صغيرة لا يجسر الواحد أن يسافر عليها ضمن المينا، وأما مع البوابير الفرنساويّة التي كانت تجول كل يوم على سواحل لبنان. ولهذا كان يصل إلينا كل يوم عشرات الشبّان على هذا النوع. ومرّة سألت أحدهم: كيف تُقدِمون على السفر على هكذا فلوكة صغيرة... أجابني نحن على يقين من الموت، فإن بقينا هناك متنا كغيرنا على الطرقات، وإذا أتينا ومتنا، نموت في البحر ويأكلنا السمك، وذلك خير لنا من الموت على الطرقات.

وتاني يوم وصلت علينا فلوكات أخرى صغيرة، وعليها عشرة شبّان، أثوابهم بالكاد تكسي عريهم، وزادهم قليلًا من قشر البرغل (المعروف بإسم الروشة)، وقنينّة صغيرة من الزيت، [ومعهم] خمسين درهم. وقد عملوا نظامًا لأكلهم كل واحد ياخذ ملو راحة يده من القشر المذكور، والرئيس ينقّط له فوقهم عشر نقطات زيت [...] بهم ويأكلهم، وهكذا بالدور حتى يأتي على الجميع، وعند المساء كذلك. لكن الله شفق عليهم وصولوا [ووصلوا] إلى الماغوسة بعد أربعة وعشرين ساعة من سفرهم من البترون...

---

[١٣] جملة مشطوبة في الأصل.

[١٤] جمع فلوكا، أي

وكان كل يوم يصل إلينا عشرات مثل هؤلاء المساكين، عراة، حفاة، جوعانين، ليس معهم بارة، ولا لهم ملجأ إلا كنيسة الموارنة. وإن يكن أكثرهم ليسوا بموارنة، لكن عرفوا أن كاهن الموارنة مسموع الكلمة عند كومندان الدارعة، فكانوا يقصدوني ولا اتذكّر أني [٨] رفضت أو خيّبت أحدًا، ولا سألت أحدًا ما هو مذهبك، ولا ما هو بلدك، بل كنت أنظر إلى حالتهم التي تغنت [؟] الإكبار، ومن كان يريب من كلامي فيسأل كل الذين لاذوا بقبرس في أيام الحرب من إسلام ونصارى...

المراكب المأسورة تعود للشغل...

وبعد مضي سنة زمان، من بعد دخول تركيّا بالحرب، عرف الريّاس اللبنانيّون أنه يوجد شغل لمراكبهم على شطوط الجزيرة، مثل الحطب والخرّوب وخلافه، فطلبوا إجازة من الحكومة ليشتغلوا فلم تسمح لهم، خوفًا من أنهم يهربوا بالشحن إلى لبنان. حينئذ قصدت قنصلنا الهمّام وأخبرته المسألة وتعهّدت له بأن الريّاس هم موارنة وحاشى للموارنة أن يخونوا فرنسا، فضحك بحسب عادته ووعدني خيرًا، وباشر حالًا بالمخابرة مع الوالي ومع قنصل فرنسا في الاسكندريّة، وما زال يشتغل حتى حصل لهم على الإجازة بأن يشتغلوا ضمن الجزيرة، أو ما بين الجزيرة واسكندريّة. ففرحوا بذلك جدًّا وباشروا بالعمل وربحوا أرباحًا تذكر.

الشبّان يدخلوا [يدخلون] البوابير الحربيّة بصفة عسكر فرنساوي

سبق الكلام أن الكومندان فرنسوا دي جوردان أتى إلى الماغوسة لكي يُعدَّ محلًا لتموين البوابير. ولما أعدَّ كل شيء، من فحم ومونة وزخيرة [وذخيرة]، أخذت البوابير الصغيرة التي تجول في البحر المتوسط تأوي إلى الماغوسة. وتَعَّين الكومندان دي ريبه رئيسًا عليها بصفة فيس أميرال [نائب أميرال]. وحينئذ استأجرتُ له دارًا بقرب

الكنيسة، واستدعى قرينته الفاضلة لتأتي لعنده، وكانت تُداوم السجود أمام القربان لكي ينجّي لها زوجها من المخاطر. ولما كثر المهاجرون ولم يعد بالإمكان أن نجد لهم شغلًا يكفي لقوتهم، [٩] تكلّمت مع الكومندان دي ريبه المذكور بشأنهم ليقبل الشبّان منهم بصفة عسكر في البوابير التي كانت تجول في البحر المتوسط، فاستحسن الفكرة جدًّا، وقال إمهلني حتى أخابر الأميرال فورنيه في بورتسعيد. وحالًا بداء [بدأ] بمخابرته باللاسلكي، فأتاه الجواب بالإيجاب، وكان يقبل كل من أقدّمه له بدون سؤال عن مذهبه أو بلده...

حاشية

وصل لعندي ذات يوم ثلاثة رجال شيوخ، أصغرهم بسن الثمانين سنة، وكانوا هربو [هربوا] على فلوكة صغيرة كغيرهم، فأخذت لهم ورقة من الكومندان حتى يأكلوا من أي بابور فرنساوي دخل المينا. أخيرًا مرض أحدهم ومات، فدفنّاه بكل إكرام. والثاني طلب منّي أن آخذ له إجازة صيد السمك، فأخذت له إجازة من رئيس المينا، على شرط أن لا يغيب عن نظر الورديان.. وكان يتصيّد ويربح، لأن الصيد كان ممنوع، والسمك غالي. أما الثالث فلم أجد له بدًّا من ملازمة البوابير، ولكن بما أن البوابير كانت تغيب بعض الأحيان جمعة زمان، فكان ذاك المسكين يرجع لعندي. أخيرًا تكلّمت مع الكومندان ليأخذه معه في أحد البوابير، فضحك وقال لي: لماذا تمزح أمثل اخطبارك [؟] نقبله مع العسكر.. أجبته: أن هذا معاشه عليكم إما أن تأخذوه معكم أو تجعلوا ما يعيّشه منه عندما تكونوا غايبين. ففكّر قليلًا ثم قال لي يوجد فركاطة [دارعة] معطّلة في بورتسعيد، نأخذه ليقيم فيها حارسًا، لكن يلزم أن أخابر الأميرال بأمره، وهكذا صار، ورجع الجواب بالقبول، فقال لي جيب اخطبارك، فدعوته قائلًا: هلما [هلم] نرسلك عسكري مع الشبّان في البوابير، ففرح المسكين جدًّا، وطرح عنه ثوب الشيخوخة، وأخذ يقفز كأنّه إبن أربعة عشر سنة. ولما أمر له الكومندان بالثوب العسكري والفرشة، أخذ يبكي من فرحه ويدعو

لفرنسا بالنصر والعزّ. ثمّ أخذه الكومندان معه إلى بورتسعيد، ووضعوه في الدارعة المعطّلة حارسًا، وكان يحرسها بكل نشاط. وأخيرًا مرض ووضعوه في المستشفى العسكري. ولكن بما أنه كان قارب المائة سنة عمره، فلم ينجح فيه علاج فمات، ودفنوه دفنة عسكريّة. جلّلوا تابوته بالعلم الفرنساوي، ونقلوه على عجلة المدفع، ومشت أمامه فرقة منكّسة السلاح، ومشا الأميرال بموكبه، وبعدما وروه التراب، أطلقوا على قبره ١٢ طلقًا ناريًّا، وحُفظت أوراقه وأثوابه إلى أن حضر ولده بعد الحرب فاستلم كل شيء. [١٠]

النص

وقد بلغ عدد الشبان الذين أدخلتهم في البوابير نحو ثلاثماية شاب. وكثيرون منهم حازوا رتبا عسكريّة ونياشين ومداليات ذات معاش دايم إلى اليوم. والبعض ضحّوا بحياتهم في سبيل الوطن مع العسكر الفرنساوي جنبا لجنب، ودُوِّنَت أسمائهم [أسماؤهم] في الكتاب الذهبي إلى الأبد، بعد تعداد مزاياهم وشجاعتهم، وخصوصًا حبّهم وإخلاصهم لفرنسا...

وأما النساء والأولاد فكنت أجد لهم أشغالا تكفي لمعاشهم، مثل غسيل ثياب العسكر وخياطة وخدمة البيوت المشهورة، بنوع أنّني لم أدع الاسم اللبناني ينزل أو يُحتقر في شيء...

ويوما ما بلغني أن مدير البولس [البوليس] أمر بحبس أحد الشبّان اللبنانيّين بحجّة أنه سرق شيئًا يخص [يخصّ] العسكر، وكان الوقت نحو الساعة السابعة مساءً. فأسرعت من فوري إلى بيت القمقام وطلبت مقابلته، فأجابني الخادم أنّه ربما على العشاء، فأجبته قل له أن كاهن الموارنة على الباب فقط. فذهب وبلّغه كما قلت له، وإذ بالقمقام ذاته أقبل نحوي يدعوني لأدخل، فأجبته اعذرني لأن الوقت قصير، أرجوك كلمة إلى مدير البولس يطلق الرجل من الحبس حالًا، وفي الغد أطلبوه مني،

فضحك بحسب عادته وأخذ قلمي وشقفة ورقة كانت معي وكتب: أطلقوا الرجل الماروني وغدًا ننظر في أمره... فأخذت الورقة وذهبت إلى السجن، وكان مدير السجن رجل تركي، يكره اللبنانيّين لأنهم كرهوا تركيّا . ولما سألته عن مدير البولس أخذ يوارب ويحتج أن الوقت فات والمدير ذهب إلى بيته، وفيما هو يتكلّم أقبل مدير البولس فسلّمته الورقة، وبعدما قراها سألني وهل الرجل ماروني فأجبته نعم، حينئذ أمر السجّان أن يطلقه، فأخذت الرجل فرحًا. وعند الصباح حضرت إلى المحكمة مع الرجل (وبعد الفحص وجدوا أن السرّاق رجل تركي قبرسي)[١٥] أن السارق هو قبرسي وليس ماروني ولا لبناني، فضحك القميقام وقال لي: كم تحبوا بعضكم أنتم الموارنة واللبنانيّين، فشكرته وخرجت ظافرًا...

[١١] في المكتب السرّي

ثم حضر الكومندان يوسف بيكار الفرنساوي، وابتدى [وابتدأ] بالمخابرة مع لبنان عن طريق جونيه وأرواد وصور. وأوّل رسول أرسله إلى جونيه وبعت معه مكاتيب ذات أهمية للغاية موجهة إلى البطرك رأسًا، فذهب الرسول. ولما وصل إلى بيته في جونية، وعرف أهله أن معه مكاتيب للبطرك، خافوا أن يعرف فيهم جمال باشا فيرسلهم إلى أورفا كما أرسل بيت البواري، فألزموا الرجل أن يرجع حالًا من حيث أتى، وأخذوا المكاتيب وأحرقوها. ولما رجع تاني يوم ما كان يقرّ بالحقيقة أولًا، بل قال أن المكاتيب وقعت منه في البحر. وبعد أن أَخْذته على حدة وطمّنته أن لا يخاف شرًا من الكومندان، أخبرني الحقيقة، وأنا أبلغتها للكومندان، الذي تكدّر جدًّا. وعوضا عما كان مزمعا أن يكافيه به من الأجرة، اكتفى بأن طرده من الخدمة وقال لي: أفهم هذا الرجل أن لا يظهر أمامي مرة ثانية أصلًا...

وتاني يوم أتى يسألني [أي الكومندان بيكار] كيف تعرف المنسنيور عقل،

---

[١٥] جملة مكتوبة على الهامش.

فأجابته أيًا منهما تعني، هل بطرس عقل أو بولس عقل. فأجبني [فأجابني] من هو كاتب أسرار البطرك؟ فأجبته هو المنسنيور بولس عقل. فسأل وكيف تعرفه، هل أنت أمين منه؟ فأجبته يكفي أن نعرف أن المنسنيور عقل هو اليد اليمنى لغبطة البطرك، وهل يمكن أن غبطته يسلّم أسراره لغير رجل أمين؟ كن براحة بال من جهة هذا المنسنيور. ثم قال نحن مستعدّون أن نرسل له دراهم حتى يوزّعها على الفقرا، لأجل ذلك أحبّ أن أعرف هل هو أمين أم لا. فطمنّت له أفكاره من هذا القبيل، وأخذ يرسل الدراهم عن طريق جزيرة أرواد وطريق البوار.

وثاني يوم طلب منّي أن أقدم له رجل شجاع، يأخذ مكاتيب إلى البطرك عن طريق البوار. وقال: إحذر أن يكون كالرسول الأول، فأجبته: كن براحة بال، ولما حضر الرجل أمامه، تفرّس فيه وقال لي أفهمه الحقيقة وأنّ هذه [...] ذات أهمية، فاذا كان لا يقدر أن يوصلها فالأحسن أن لا يأخذها، بل ننتظر غيره. فلما فهم الرجل ذلك، قال للكومندان إني مستعدّ أن أوصل هذه المكاتيب إلى صاحبها ولو قطّعوني شقف شقف. وهكذا استلم المكاتيب وسافر فيه البابور إلى قرب البوار، ثم أخذ فلوكة صغيرة وأوصلته إلى البرّ ورجعت، وبقي الرجل هناك ليأتي بالجواب. [١٢] واتفق مع قبطان البابور على علامة الرجوع، وثاني يوم بينما هو بالقرب من الطريق نظر البطرك جالسًا في أوتومبيل وذاهبًا لجهة بكركي. فتعجب كيف أن البطرك يترك الديمان في هذه الأيام الحارة ويأتي إلى بكركي. ولما أخبر الرجل الذي كانت المخابرات تأتي وترجع عنده، أنه نظر البطرك متجها نحو بكركي، فأجابه الرجل يا ويلنا نحن الموارنة، هوذا جمال باشا طلب البطرك يشنقه، أو ينفيه، وإذا ذهب إلى المنفى يصيبه كما أصاب المسكين مطران شبلي. وفي الليل حضر البابور وأعطاه الرجل العلامة المعهودة، فأرسلوا له الفلوكة وأخذوه. وعند الصباح، كان عندنا في الماغوسة ومعه الجوابات اللازمت [اللازمة]... فسُرَّ الكومندان بيكار منه جدًّا إلا أنه تكّدر من خبر البطرك وطلبه إلى عند جمال باشا...

وكان بالوقت موجود عندنا في الماغوسة نسّافة إيطاليّة بقيادة الكومندان

تاناتوني، فأسرعت أنا وأخبرته عما سمع الرجل بخصوص البطرك، وزوّدته مكتوب إلى المطران نعمةالله أبي كرم في رومية، وعند المساء سافرت النسّافة إلى رومية رأسًا، وهكذا وصل خبر البطرك إلى قداسة البابا بناديكتوس قبل وصول تلغراف القاصد وحالًا خابر ملك النمسا بخصوصه...

المكتب الإنكليزي

وبعد مدّة حضر إلى الماغوسة المستر هرفج الإنكليزي، وفتح مكتبًا سريًّا وطلبني لأكون ترجمان عنده وأن أقدّم له أولًا العرب حتى يرسلهم مع بابور إنكليزي إلى سواحل لبنان ليأتوه بالأخبار نظير الفرنساويّين. ولما كلّمت بعض الشبّان الموارنة بهذا الخصوص، أبو [أبوا] أن يخدموا عند الإنكليز، وعبثًا كنت أغرّهم بالإجرة فلم أقدر أن أعيّن واحدًا منهم. أخيرًا طلبت غير شبّان من غير لبنان وكانوا وصلوا إلى الماغوسة من مدة وجيزة وهم فقرا محتاجون، فقبلوا أن يخدموا الإنكليز، وعيّنت لهم إجرة [١٣] شهريًّا. إلا أن المستر هرفج لم يرسلهم إلى سواحل لبنان إلا مرّة واحدة. وكان عرف أن أخبار لبنان وسورية تأتي كل يوم إلى الكومندان بيكار، اكتفى بأن يستخدم أولايك [أولئك] الشبّان بصفة حرّاس على شواطئ الجزيرة، لأن الغوّاصات الألمانيّة كانت تتردّد بكثرة إلى الجزيرة وتغرق المراكب [...] التي كانت تسافر من قبرس إلى بورتسعيد، وتشغل لوازم العسكر الإنكليزي...

وفي ذات يوم أتاني واحدًا [واحدٌ] وأخبرني أنه يوجد (زيرة زغيرة)، مركب مختبئ ما بين البان وليماسول، وفي هذه الزيرة يوجد مركب غريب رابط هناك وقد رابني أمره لعلّه يخدم الغوّاصات. فأخبرت الكومندان دي ريبه بالمسئلة [بالمسألة]، فأخذ يبحث أوّلًا في خارطة البحر ليرى المحلّ المذكور، فلم يجد له رسم في الخارطة، لأنه كناية عن صخور عالية، وداخلها جوت صغير نظير المينا. فقال لي هذا غير صحيح لأنه لا يوجد له رسم في الخارطة، فأجبته كلّ الشبّان الموارنة الذين معك

يعرفوه. فدعا واحدًا منها [منهم]، وسأله فأجبه [فأجابه] نعم يوجد كذا محل، فأمر حالًا بالسفر إلى هناك وأخذ معه الشبّان الموارنة. ولما وصلوا إلى المحلّ المذكور، وجدوا المركب كما قال المخبر، فسأله الكومندان ريّسه [رئيسه]، لماذا أنت رابط هنا؟ فأجابه خفت من هيجان البحر فالتجئت إلى هذه المينا. ثم سأله ما هو الشحن الذي معك؟ فأجابه ما معي شحن أصلًا. فأمر حينئذ الكومندان أن ينزل الشبّان الموارنة وينبشوا المركب. ولما نزلوا وجدوه مشحون مونة للغوّاصات، من أكل وبانزين وغيره، فحينئذ أخذوا رئس [رئيس] المركب معهم إلى عند الكومندان وأطلقوا البحرية الذين كانوا معه ليذهبوا في سبيلهم. ولما صعد الريّس [الرئيس] إلى البابور أمر الكومندان بحبسه، وأطلق المدافع على المركب فأغرقه بما فيه في محله، ورجع إلى الماغوسة. ولما عرف والي الجزيرة الإنكليزي تكدّر جدًّا وأخذ يسأل عمن أخبر الكومندان دي ريبه عن المركب المذكور، فأخبروه أن كاهن الموارنة في الماغوسة هو الذي أخبر عنه، فزعل جدًّا وأمر المستر هرفج أن يسكّر مكتبه في الماغوسة ويذهب إلى بورتسعيد.

العسكر الإنكليزي

سافر السر هرفج إلى بورتسعيد بعد أن أخذ رسمي ورسمه سوية ثم رسمي لوحدي، وأخذ أدراسي [عنواني] وأعطاني كرته [بطاقته]، وقال لي: لا يمكنني أن أعطيك إدارتي محلّي لأني ربما ذهبت إلى الهند، ولكن عن بقرب [قريب] يصل لعندكم الكولونيل كورنز مع فرقته، وهو رجل كاثوليك وأنتم الكهنة تحبوا الكاثوليك أكثر منّا...

فأجبته وأنتم أيضًا تحبوا قسوسكم الأنكليكان أكثر من منّا [كذا]، فاذًا لا تلومنا ولا نلومك. وثاني يوم وصل الكولونيل كورنز مع فرقته ونظمّ معسكره بالقرب من كنيستنا، وكان يأتي كل يوم مرّتين إلى الكنيسة، يأتي عند الصباح لسمع القدّاس والمناولة، ويأتي عند العصر لزيارة القربان، ونهار الحد يأتي مع العسكر لسماع القدّاس.

وبعد أن أقام عندنا شهر زمان، أتت الأوامر أن يذهب مع فرقته إلى الاسكندريّة، وخلفه ضابط آخر كاثوليك اسمه اربتنوط، إلا أنّه لم يكن هو القائد الأكبر، بل كان يوجد قائد أكبر منه بورتسنطنت [بروتستانت] متعصّب لمذهبه جدًّا. وكانوا يُعّدوا المحل للأسرى الذين أسروهم في موقعة الترعة [؟] وغزّة والقدس. وبما أنه لم يكن معهم كاهن كاثوليك، طلبني الكومندان اربتنوط حتى أقدّس لهم في محلّهم، وعملوا لي كنيسة صغيرة وزيّنها أربنتنوط من ماله الخاص بكلما يلزم، إنما كنت آخذ معي المذبح النقّال فقط، وكان يرسل لي السيّارة كل يوم أحد، فأذهب أقدّس لهم أولًا ثم أعود أقدّس للرعيّة. وبما أني لا أعرف انكليزي، وأكثر العسكر لا يعرفوا فرنساوي، كتب لي فحص الضمير بالإنكليزي والفرنساوي وكان هو يعلّمني الإنكليزي حتى صرت أقدر بأن أعرّف العسكر بالإنكليزي. ولما عرفت أنه يوجد أسرى كاثوليك طلبت لهم إذن حتى يحضر [يحضروا] القدّاس مع العسكر، ويعترفوا ويتناولوا، ولو وكان أكثرهم سريان كاثوليك من الموصل. وفي ذات يوم أخبروني أن ضابط فرقتهم تركي وأنه يهينهم جدًّا وأنّهم معذّبون بوجودهم مع عسكر الاتراك في منام واحد. حينئذ تكلّمت مع الكومندان اربتنوط بخصوصهم، فأجابني: الأحسن أن نذهب سويّة لعند القايد وأنت تخبره بأمرهم، أنا أترجم له، وهكذا صار، واستجاب القائد رجأي [رجائي]، وعيّن لهم منهم شاويش وأعطاهم محلّ منامة لوحدهم، ففرحوا مساكين جدا، وكانوا دايما يسألوني أين وصلوا الفرنساويون في سورية، وأي متى يدخلوا بيروت والشام. ولما أخبرتهم أن الأتراك [١٥] والألمان هربوا من سورية، ودخلتها فرنسا والانكليز، كان يوم عيد عظيم عندهم، وبعد مدة وجيزة أطلقوا سبيلهم وأرسلوهم مع بابور فرنساوي إلى بيروت، ومن هناك ذهبوا كل واحد إلى بلده وعيلته.

فرقة المتطوعين اللبنانيين

وبعد حين وصل الكومندان روميه ومعه الأب جورج جورفنيان اليسوعي برتبة ضابط كبير، وطلبوا من الإنكليز أن يعطوهم محل ليعدّوا معسكر للمتطوّعين

اللبنانيّين الذين جاؤا من أمريكا. وكان الكومندان يرغب أن يكون محلّهم بقرب كنيستي، ولكن الإنكليز أعطوهم مطرح بعيد عنا سفر ساعة بالسيّارة. وبعدما أعدّوا البيوت والخيام، وصلت فرقة المتطوّعين بقيادة الظابط اللبناني، السرجان اسكندر العضم من الزوق، وطلبوني حتى أعرّفهم فذهبت لعندهم وعملنا قدّاس احتفالي تحت الخيمة، ولما طمّنهم عن حالة أهاليهم في لبنان وعن الجوع والموت والظلم، كان البعض منهم يبكوا [يبكون]، والبعض ثارت [فيه] نخوة الشباب وقال لضابطهم إذا كان الحال هكذا كما أخبرنا القس لماذا أتيتو [أَتَيتوا] بنا إلى هنا؟ نحن تطوعنا حتى نخلّص بلادنا وأهلنا، لا لنجي [لنأتي] إلى قبرس. وبعد كلام كثير، أقنعهم بأن نظام الحرب يقتضي ذلك، ثم وعدهم أن يسعى جهده لكي يسافر معهم إلى بيروت، وهكذا كنت أحضر لعندهم كل نهار أحد بالعربيّة، لأنه لم يكن معهم سيّارة حتى يرسلوها لي، وهكذا كنت أقدّس عند الإنكليز، ثم للرعيّة، ثم للمتطوّعين، وكانت مصاريف ذهابي وإيابي منّي ولم أكلّف المتطوّعين بارة الفرد...

وبعد أن أقام المتطوّعون في قبرس نحو سنة زمان، يتمرّنون على الأعمال الحربيّة، زارهم الأميرال فورنيه، وعملوا مناورة حربيّة أمامه كان الفوز للبنانيّين، فسُرَّ بهم جدًّا وذهب أمامهم إلى قرية قريبة من محلّهم، وأمر لهم ببرميل نبيذ قبرسي على حسابه. [١٦] وثاني يوم سافر إلى بورتسعيد، وقبل سفره أمرهم أن يستعدّوا للسفر لعنده إلى بورتسعيد لكي يتّحدوا مع العسكر الإنكليزي بالزحف على فلسطين ثم على لبنان وسورية، وهكذا كان. بعد وصوله إلى بورتسعيد، أرسل البوابير إلى قبرس لكي تنقل المتطوّعين، ولما وصلوا إلى بورتسعيد، زحفوا مع الإنكليز على غزّة...

وأما أنا فبقيت مواصل عنياتي [عنايتي] بالمهاجرين الذين بقيوا عندي، والبعض منهم كان لهم أقارب في أمريكا يريدوا [يريدون] أن يكتبوا لهم ولا يوجد معهم نمرة محلهم، لأجل ذلك كتبت إلى نعّوم مكرزل، صاحب جريدة الهدى، وكلّفته أن يعلن خبر وجود المهاجرين في قبرس، وأن إرسال الدراهم ممكن بسهولة إلى قبرس، حينئذ أَخَذَتْ إعانات تأتي إلى المهاجرين عنيدي [عندي]، وكنت أسلّمها لهم بكل

أمانة، بعد أن أستلم منهم وصولات، نسختين: الواحدة أرجعها لصاحب المال والثانية تبقى عندي إلى اليوم...

وفي ذات يوم وصلت إلى أحدهم ورقة أقاربه في أمريكا يقضي لها تعليم عند قنصل فرنسا لكي تكون مقبولة، فقدّمتها إلى وكيل قنصلنا في الماغوسة وكان رجل يوناني فأبى أن يعلّم عليها بدون أن يقضبوا الرسم، فدفعت له الرسم وعلّم. وثاني يوم أخبرت قنصلنا الغيور، فقال لي من الآن فصاعدًا تكون أنت وكيلي في الماغوسة، وتجري كل الاشياء اللازمة، وحضر إلى الماغوسة وأخذ الختم والأوراق من الرجل الرومي وسلّمني إياها، وكان يعتمد عليّ في كل الاشغال المختصّة بالمهاجرين..

ثم حضر الكومندان، هو الذي كان في حوران أيام الثورة ورُقي إلى درجة جنرال، أندريا من أرواد، ومعه كل المهاجرين الذين كانوا في ارواد، ومعه قسم كبير من أهالي أرواد الذين هربوا منها عندما ضربها الألمان من فوق الجبل، وأعطاهم الإنكليز محلة الكرنتينة في رجاليا، قرب الملاّحة، ليكونوا فيها. وقد اتُّهِمَ هذا الكومندان بأن له علاقة مع الغوّاصات الألمانيّة، وحضر قنصلنا إلى راجاليا لكي يتحقق الخبر وليفحص الدعوة، بناءً على أمر الوزارة الخارجيّة في فرنسا، وكنت أنا بالوقت موجود هناك لأجل القدّاس للموارنة ومساعدة بعض المرضى في ساعة الموت. وبعد أن سألنا الموارنة عن تهمة [١٧] الكومندان أندريا، اكتفى القنصل بكلامهم وعاد إلى الملاحّة، وتبرر الكومندان أندريا، ولأجل ذلك صار من أعزّ الأصحاب لي ،وكان غالبا يدعوني لعنده. ولما عمّر الحارة الجديدة هناك قال لي: هذه أوضتك، وهذه أوضتي، وهذه الكابلاّ، وماذا تريد أكثر؟..

ولكن الله تحنّن علينا ولم تطول تلك الأيام حيث صار الاحتلال ورجع المهاجرون إلى أوطانهم، وسافر الكومندان أندريا إلى بيروت ثم إلى الشام لأنه كان يعرف عربي... ولما أخذ المهاجرون يرجعون إلى أوطانهم، صدر أمر من الوالي الإنكليزي أن يبيعوا كل عفشهم في قبرس، وغير سموح لهم أن يأخذوا شياءً [شيئًا]

معهم سوى ثيابهم فقط، والذي يأخذ معه خام أو شيء بدون خياطة، يضبطه الكمرك وصاحبه يدفع جزا. فحزن المهاجرون لهذا الأمر جدًّا لأنهم يعرفوا جيّدًا أن بيوتهم فارغة، لأن الاتراك نهبوا لهم كل شيء والأسواق أيضًا فارغة وكيف يمكنهم أن يرجعوا بدون عفش. ولما عرفت بذلك ذهبت إلى قنصلنا وأخبرته بالحالة فتكدّر جدًّا من هذه الأوامر وخابر الوالي أوّلًا تلغرافيًّا، فلم يقبل، ثم كتب له بإسهاب، فكان جوابه بالرفض. أخيرًا أحضر سيارة وذهب لعنده وكلّمه بهذا الخصوص فلم يقبل أولًا. أخيرًا قال له: إذا لم تسمح فأنا مستعد أن أخبار [أخبر] الوزارة الخارجيّة حالًا. ولما نظر اللحاح القنصل وأن الأسباب التي قدّمها مقنعة، قبِلَ أخيرًا، وأعطاه أمر أن يأخذوا عفشهم فقط، وأما القنصل فقال لهم: خذوا مهما كان لازمكم، وإذا احد اعترضكم أخبروني. وهكذا سافروا وهم يدعو [يدعون] لقنصلنا ولفرنسا بالنصر. ولكن الوالي حنق على القنصل وكتب ضده إلى إنكلترّه، وبعد مدّة إجا الأمر بنقله إلى غير محل وأرسل لنا قنصلنا الحالي...

وقبل أن يسافر قال لي: بناءً على خدماتك لفرنسا طلبت لك نيشان فرنساوي وأنا أتمنّى أن يصل قبل سفري، لكي أعلّقه بيدي على صدرك. ولكن لسوء الحظ تأخر وصول النيشان إلا أن قنصلنا ما زال يوصالني [يواصلني] بأخباره ويسألني عن الموارنة وعن الأعمال التي عملها للموارنة هل هي باقية كما كانت.

أما القنصل الذي خلفه غيّرها، فأخبرته كل شيء وأخبرته أني استقلت من وكالة القنصليّة لأني وجدت أسباب موجبة لذلك...

لأن القنصل الجديد قطع معاش كهنة الموارنة الذي كان عيّنه قنصلنا، وقطع أيضًا راتب المدارس (وكاد يقطع معاشي الخصوصي لو لم يخشى أني أخابر قنصلنا أوغيره...)

واسترجع من الأب جبرايل معوّض، رئيس دير مار الياس مطوشي، الدراهم التي باقية بيده من أصل القيمة التي دفعها له قنصلنا لكي يعمّر مدرسة في دير

مطوشي، ويجمع إليها كم ولد من قرى الموارنة. وكان الأب جبرايل باشر بالعمل وعمّر الطابق الأرضي وكان مستعد أن يكمل لكن ذهاب قنصلنا خرّب كل شيء سيّما لأن القنصل الحالي لا يعمل شيئًا بدون إرادة الإنكليز وإشارتهم. وأما قنصلنا فكان يعتقد أن قرى الموارنة في قبرس هي مستعمرة فرنساويّة، لأجل ذلك زارهم ونظر باحتياجاتهم. وبالنتيجة كان يهتمّ بالموارنة كرجل ماروني، ولا أتذكر أنّي عرضت له مسئلة [مسألة] بخصوص الموارنة وتأخّر عنها أو لم يلبّي طلبي. وبعد الاحتالا [الاحتلال] عرفت بالإعانات التي فتحتها فرنسا في لبنان، فطلبت منهم أن يُطلب لنا قسم منها للمهاجرين الذين كانوا باقين هنا، وحالًا كتب إلى جورج بيكو وأرسل له بحسب طلبه، وكان يوزّع الدراهم عليهم عندي بموجب وصولات رسميّة عن كل دفعة وصلين، الواحد يحفظه عنده والثاني يرسله إلى بيكو...

وفي ذات يوم طلب أحد الموارنة أن نكلّم القنصل إذا كان يتنازل ويعمل عرّاب لابنه في العمادة. وعندما عرضت له ذلك قَبِلَ بكل طيبة خاطر، وقدّم للود [للولد] ثوبًا ثمينًا وهدية نقديّة...

وأمّا في مدّة قنصلنا الحالي فاني اكتفيت بأن أساعد من يحتاجني في أمر على قدر مكنتي، دون أن أسال القنصل شياء [شيئًا]. إنما مرّة أخبرني أحد ريّاس المراكب أن وكيل القنصل في الماغوسة يأخذ منهم رسم عن مراكبهم أكثر مما هو واجب في النظام، فقصدت قنصلنا وأخبرته عن ذلك. فأجابني أن الوكيل يعطيهم واصلًا [وصلًا] بما يقبضه منهم، فأجبته: يا سعادة القنصل أن الزيادة لا تدخل في الوصل بل في جيبة الوكيل، فأجابني: إذًا أنا لا أقدر أن أقول له شياءً [شيئًا]. حينئذ فهمت مقدرته وقطعت كل مواصلة معه وإذا شكى لي أحد الريّاس أمرًا أشور عليهم أن يبلّغوا ذلك إلى إدارة بيروت، لأن قنصلنا هنا لأجل قبض المعاش والرسوم لا غير. انتهى.

مــلـــحـــق

مختصر سيرة الأب الياس

نقلًا عن روزنامة دير مار سركيس وباخوص قرطبا[١٦].

توفي لرحمته تعالى الاب الياس لحّود القرطباوي عن ٧٥ عامًا تقريبًا متمّمًا واجباته الدينيّة ومزوّدًا بالأسرار المقدّسة في شهر كانون الأول سنة ١٩٤٤ بعهد رئاسة الأب بولس زيادة اللحفدي وكان مشهورا بغيرته على النفوس وكان محبًّا إخوته الرهبان ومحبوبًا منهم وكان قد سافر إلى جزيرة قبرص في أيّام الحرب الكونيّة عندما صدر الأمر من السلطان عبد الحميد العثماني بنفي غبطة البطريرك مار الياس الحويك الماروني تلقّى هذا الخبر وطيّر برقيّة لاسلكيّة إلى بابا رومية، ورومية بدورها توسطت مع بقيّة الدول الغربيّة لإرجاع البطرك الماروني إلى مقرّه بكركي ولذلك استحق وسام الاستحقاق الافرنسي لقاء خدماته وتضحياته الجلّى في سبيل البطرك والجنود الافرنسيّين في جزيرة قبرص. وفي مدة إقامته في مدينة فماغوستا في الجزيرة بنى كنيسة على إسم السيدّة فيها من أموال ونذور اللبنانيين.

---

[١٦] صفحة ٢٠٧

محضر زيارة قانونيّة

قام بها الزائرون الرسوليّون لأنطش مار يوحنا مرقس- جبيل

سنة ١٩٠٨[١٧]

Père Elie El Khouri de Qortaba

Age : 37 ans.

Profession : 22 ans.

Noviciat : 1 an et 8 mois à Nâamé. A passé 1 an comme simple Frère en divers couvents.

Etudes : 4 ans à Mar Moussa et Habachi.

Sacerdoce : 16 ans.

Assigné 1 an à Mar Moussa El Habachi au service du Noviciat, 1 an curé auxiliaire à l'Antoche de Zahlé, successivement maître d'école à Bénabil, professeur au scolasticat de Naamé, prédicateur de missions, surveillant au collège de la sagesse, professeur au collège de Qornet Chahouan, assigné à Annaia, professeur au scolasticat de Nesbai, curé à la résidence de Motain, pendant 3 ans promené de Province en Province et de couvent en couvent par la mauvaise volonté d'un des Hégumènes, depuis 2 ans et 3 mois à l'Antoche de Djoubail et curé auxiliaire.

Les nombreuses pérégrinations du Père lui ont été occasionnés en partie par sa santé en parie par la mauvaise volonté de l'Hégumène

[17] Archivio Segreto Vaticano, archivio della Nunziatura Apostolica in libano, vol 168, Baladite, Antoche de Djoubail, déposition de Père Elie El Khouri de Qortaba.

Père Paul Motaini à son égard. Cet Hégoumène ayant par ruse obtenu la permission de se rendre à Motain sous prétexte que son frère, le supérieur du couvent de Mar Moussa El Habachi, était gravement malade alors qu'il s'agissait pour lui d'assister à un mariage. Le présent religieux révéla innocemment cette ruse au Père Général El Kefri, d'om lui vint la persécution de l'Hégumène pendant plusieurs années.

Observations générales : Les principaux maux de l'Ordre sont la pratique imparfaite de la vie commune et de la pauvreté religieuse et la négligence des malades. Le présent religieux étant malade à Djoubail se dit obligé de se nourrir à l'hôtel pendant des mois pour avoir des aliments convenables à son état de santé parce que le Vicaire de l'Antoche quoique bon religieux ne fournit rien en dehors de la nourriture ordinaire que son estomac ne peut supporter.

Le Général et les Hégumènes sont très discutés dans l'Ordre, beaucoup de religieux les blâment pour leur conduite.

Le Père Stephan 1er Hégumène a fait parler de lui pour des familiarités et des fréquentations suspectes. Quand il vient à Djoubail il ne loge pas à l'Antoche mais chez ses parents.

Le Père Paul Motiani 2ème Hégumène jouit d'une mauvaise réputation dans son pays natal Motain pour des faits antérieurs.

Les deux autres Hégumène Arsène Choucri et Namatalla sont relâchés quant à la discipline et ont l'habitude de boire de l'eau de vie.

Le Supérieur du couvent de Deir El Banat est un bon religieux mais accusé d'avarice par plusieurs. Il eut des difficultés graves avec trois religieux expulsés depuis du couvent. Ceux-ci avaient été surexcités par les procédés durs du Supérieur, ils faisaient entre eux et avec le Frère Antoine, resté ici, cuivisne à part. Au moment de leur assignation, il y eut des scènes violentes, des bruits scandaleux

d’armes à feu, qui furent connus du public et occasionnèrent des scandales.

Le Vicaire de l’Antoche est un bon religieux, régulier dans sa vie mais un peu serré pour l’entretien de ses religieux et le soin des malades. Les revenus annuels de l’Antoche sont de 7000 piastres environ.

بعض صفات الأب مبارك سلامة المتيني واهتمامه بالمبتدئين والإخوة الدارسين بحسب الأب إقليموس المتيني[١٨]

[١١] أمّا عناية [الأب العام] مبارك [المتيني] بالخصوص فكانت متّجهة نحو تهذيب الشبيبة وقد عيّن بأمر المجمع المقدّس دير مار موسى الحبشي للمبتدئين وديري الناعمة وكفيفان للدارسين وكان يمضي أكثر مّدته بهذه الأديرة، ولمّا كنّا مدّة الصيف في مار موسى كنت أراه في كلّ صباح يعطي المبتدئين تأمّل وفي كل مساء إرشاد وموضوع تأمّل، وكان يحضر بذاته يعيطهم الرياضة السنويّة. ولم ينذر قسم منهم النذور الرهبانيّة إلاّ على يده، ويكون قد أعطاهم بذاته الرياضة الروحيّة. وهكذا كانت عنايته بالدارسين فإنّه لم يكتفِ أن يكون بينهم دائمًا على المائدة، بل غالبًا كان يزورهم في المدارس وبمحلاّت التنزّه داخل الدير وبقربه. [...] [١٢] الخلاصة إن شهره على تهذيب شبّان الرهبانيّة كان بغاية ما نتمنّى وكان الشبّان كلّهم يعرفون أن لهم في شخص أبوّته [١٣] مرشدًا وعاضدًا. فما كان يدعهم يحتاجون إلى شيء من الكسوة وما أشبه كما سبقت العادة، وعادت إليه فيما بعد.

[٢٣] أخيرًا أقول كلمة عن شخصيّة الأب مبارك المذكور وأعماله في غير مدّة الرئاسة. فدخل الرهبنة بسن الأربعة عشر سنة وبعد سنتي الابتداء وإبرازه النذزر الاحتفاليّة أُرسِل إلى دير كفيفان فالقطّارة ودرس فيهما على المرحوم الأب نعمة الله الكفري والمونسنيور الخوري ارسانيوس الخوري رئيس مدرسة مار يوحنّا مارون حاليًّا مدّة ثلاث سنوات. ثم درس أكثر من سنة في دير الناعمة على حضرة الخوري بطرس الشاعر. وبعد دخل [٢٤] مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير، ثمّ كليّتهم في بيروت، وكمّل فيها درس اللغات والفلسفة واللاهوت بمدّة عشر سنوات. وبعد حاز على

---

[١٨] أرشيف الفاتيكان السري، ملف ١٧٠، صورة ٣٩

شهادة الملفنة في الفلسفة واللاهوت، وبقي عندهم تسع سنوات متتالية وكيلاً أوّل على قسمة الاكليريكيّين. وبعد خروجه من كليّة القدّيس يوسف تعيّن معلّمًا ومرشدًا للمبتدئين وقد أسعدني الحظ بأن أكون من أوّل صفّ المبتدئين على يده كما تقدّم. وإخوتي المبتدئون كانوا الآباء اغناطيوس تنّورين، أنطونيوس بكاسيني، مخايل وادي جزّين، عبدالله الحصروني، ليباوس تنورين، جبرايل غديري، وأمثالهم كثيرون من آباء وإخوة. فمكث بهذه الوظيفة نحوًا من أربع سنين. ثمّ تعيّن معلّمًا للدارسين الذين كانوا ابتدوا على يده، وزاول هذه الوظيفة بصفة مدير المدرسة ومرشدها ومعلّمها مدّة ثلاث سنين في دير مار موسى الحبشي، وكان بكل هذه المدّة، رغمًا عن أتعابه، مع الدارسين والمبتدئين، لا ينكفّ عن أعمال الرسالة في الأمكنة المجاورة [٢٥]

دفن جندي فرنسي في مقابر الموارنة في الماغوصة– قبرص

بحسب مذكّرات بشارة البواري[١٩]

[...] ونحو ظهر اليوم التالي وصلنا إلى الماغوصة في جزيرة قبرص وسافرنا منها نصف الليل بعد أن تركنا فيها المركب المذكور.

تعوّدت منذ ركوبي الطرّاد أن أصعد باكرًا إلى مركز الإدارة في أعلى الطرّاد حيث كنت أجد دائمًا القومندان الذي كان يستقبلني بلطفه المعتاد ويستعلم عن صحّتي وعمّا إذا كنت صرفت الليل براحة. فاستقبلني صباح يوم ودعاني إلى تناول الغداءِ على مائدته ونحو الساعة العاشرة شاهدنا جزيرة أرواد وبعد قليل اقتربنا من طرسوس وهناك أسرنا زورقًا كبيرًا فيه امرأتان مسلمتان وثلاثة بحّارة فأشفق القومندان على الامرأتين واكتفى بأن نبّه البحّارة كي لا يعودوا إلى السفر بحرًا مرّة أخرى ثمّ اتجهنا نحو الشمال وبعد قليل شاهدنا مركبًا آتيًا ولـمّا رآنا أسرع نحو بانياس الواقعة على مقربة منه فقصدنا تلك البلدة ولدى وصولنا أرسل القومندان الضابطين فندر كامب وليكيلو في الزورق البخاري الذي قطر زورقًا آخر فيه أربعة بحّارة لتفتيش المركب وأسره، ثمّ نزلنا إلى تناول الغداء ولم يمض القليل حتى جاء حاجب القومندان وأخبره أن الأتراك يطلقون النار على الزورقين [...] فأسرعنا إلى متن الطرّاد وبإشارة القومندان عاد إلينا الزورقان ولدى وصولهما وجدنا قتيلاً في الزورق الصغير يُدعى لاكادك ورجلاً آخر مصابًا برصاصة كسرت رجله.

---

[١٩] مذكرات بشارة جرجس البواري عن اربع سنيّ الحرب. من سنة ١٩١٤–١٩١٨. مطبعة جريدة الهدى اليوميّة في نيويورك، لصاحبها نعّوم مكرزل. صفحة ٢٤–٢٩.

[...] وأسرعنا إلى الماغوصة ولدى وصولنا في صباح الغد سألني القومندان عمّا إذا كان يوجد كنيسة كاثوليكيّة للصلاة على جثمان القتيل، فقلت لا يوجد غير كنيسة الموارنة. فكلّفني بإيصال الخبر إلى الكاهن وبدفع نفقات الجنازة فذهبت إلى البرّ مع بعض البحّارة الذين سلّمتهم الأخشاب لعمل التابوت والشموع اللازمة بعد أن أعملت كاهن الموارنة القس الياس الخوري الذي ذهب حالًا إلى الطرّاد مع بعض الموارنة.

نحو الساعة الثانية بعد الظهر جاء من الطرّاد مائة [كذا] عسكري بسلاحهم وملابسهم الرسميّة ووقفوا صفّين على الرصيف لاستقبال نعش القتيل الذي جئنا به. وبعد وصولهم بنصف ساعة ولدى وصوله سلّموا السلام العسكري ثم مشوا يشيّعونه حتى الكنيسة حيثما صلّى على نفسه بحضور جمع غفير من الأعيان وفي مقدّمتهم الحاكم الانكليزي وكبار المأمورين. ثمّ نقل النعش بين الجنود المنكّسة السلاح وجمع غفير من الأهالي إلى المقبرة الواقعة شرقي البلدة. وفي أثناء الطريق أوقفت النعش مرارًا النساء اليونانيّات لتضع عليه الأكاليل والأزهار. ولدى وصولنا إلى المقبرة تقدّم القومندان وأبّنَ القتيل فبكى وأبكى كثيرين.

عدت بعد الدفن إلى أنطوش الموارنة حيثما التقيت بالسيدة زهيّه ساسين نسيبة الخواجة إميل باغوص التي أخذت تلومني على ما أقدمت عليه من التعرّض للأخطار في البحريّة الإفرنسيّة ثم ذكّرتني بأولادي وعائلتي الذين لا مرجع لهم سواي. فشكرتها على عواطفها نحوي وقلت لها أن الموت أفضل من العودة إلى وطني إذا كان لم يزل تحت النير التركي، فنسبت إليّ الجنون وانصرفت.

كانت أسكلة الماغوصة ملجأ لجميع المراكب اللبنانيّة فاشترك رجالها كلّهم بهذا الاحتفال لذلك كان القومندان والضبّاط يستقبلونهم بكل لطف عندما يذهب بعذهم لزيارتي.

[...] وبتلك الأثناء طلب منّي القومندان علمًا بالمدفوع نفقات الجنّاز

فقدّمت له لائحة بقيمة ثمانين فرنكًا منها عشرون للكنيسة وعشرون للكاهن. فتكّدر القومندان وقال لي أنريد أن تمزح يا مسيو بواري، ما هي هذه الأربعون فرنكًا المدفوعة للكاهن والكنيسة؟ (فاعتقدت لأوّل وهلة بأنّه استكثر القيمة) فقلت له إنّي دفعت حسب العادات الدارجة في لبنان. فضحك وقال كان يجب أن تدفع أضعاف اضعاف هذه القيمة ولكن ما مضى قد مضى وسأوعوّض إن شاء الله عن تقصيرك على الكاهن عندما نعود إلى الماغوصة. وبعد مدّة عدنا إليها فدفع إلى الكاهن المذكور خمس ليرات إفرنسيّة.